

56
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
الستار
تأليف: أجاثا كريستي
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

يصعب على المرء أن يقدم للمرة الأولى قصة للقراء لا يرسمها الفنان الأستاذ (إسماعيل دياب) ولا يشرف على تنسيقها الأستاذ (صبحى عبود) - عم (صبحى) كما ينادونه فى المؤسسة - خاصة أنها المرة الأولى منذ وضعت قدمى هنا، لكن هذه سنة الحياة ولسوف تستمر أردنا أم لم نرد .. ليرحم الله الفقيدين العزيزين ويرحمنا يوم يقول الرسام الجديد : يحز فى نفسى أن أرسم غلاف قصة لم يكتبها فلان أو فلان ....

المـؤلـف



كنت قد قررت الا أترجم أى عمل آخر للكاتبة (أجاثا كريستى Agatha Christie) بعدما ترجمت قصة (الغريم الخفى) فى الكتيب رقم ٣٨ ، لأننى أعتقد أن كل حرف كتبته المؤلفة قد ترجم للعربية..

فقط ترجمت (الغريم الخفى) كعينة لأدب هذه الكاتبة البريطانية واكتفيت بذلك . إلا أن صديقًا سوريًا عزيزًا هو الدكتور (محمد فراس صلاحية) أقنعنى بتقديم القصة الحالية لأهميتها ، حيث إنها القصة التى يموت فيها (بوارو) المخبر الأسطورى البلجيكى ، وقد اندهش لما عرف أننى لم أقرأها قط إنما قرأت ما كُتب عنها ؛ لذا أرسل لى النسخة الإنجليزية بالبريد من سوريا مع ما فى ذلك من تكلفة ، وقد وجدت أن

القصة ممتعة حقًا وإن كانت محزنة ذات جو مقبض . فيما بعد وجدتها منشورة على شبكة الإنترنت فى موقع كندى أنشأه طالب صينى هو :

http: //www. cs. ualberta. ca/~xianchen/cnajs/curtain/

والموقع مهم لأنه يقدم نصوصًا إنجليزية كاملة لأشهر كتب (كريستى) .

من جديد أكرر شكرى لمحمد فراس وأهديه هذا الكتيب .

* * *

كما قلت فى الكتيب السابق ، تعتبر (أجاثا كريستى) أيقونة بريطانية للأدب البوليسى ، وقد احتلت بثقة ذات الموضع الذى احتله من قبل (كونان دويلDoyle) ..

قصصها جديرة بحق أن تكتبها سيدة ، فهى خالية من الدم والعنف والجنس لكنها محشوة بالعقل والاستنتاج المنطقى ، وكل من فى القصة مهذب راق حتى السفاحين والقتلة .. إن قتلة (كريستى) من أرقى العينات البشرية وأكثرها ذكاء وتحضرًا وثقافة ! وهى تعلى من قيمة (السرد) أو (الحكى)

بمعنى أنها لا تهتم كثيرًا بالبعد الأدبى قدر اهتمامها بـ (ماذا سيحدث بعد هذا ؟) ، وهى فى هذا تشبه مواطنتها (دافنى دو مورييه Maurier du Daphne) التى قابلناها فى هذه السلسلة(*) . إلا أنها لم تتخلص من الميل الفيكتورى القديم لجعل الرواية (معرضًا ثريًا للشخصيات الممتعة) .. شأنها فى هذا شأن (ديكنز) و(برونتى) وسواهما ..

بالإنجليزية باعت قصص (كريستى) مليون نسخة ، وبلغات أخرى باعت مليونًا آخر ، فلم يتفوق عليها فى المبيعات ـ فى عصرها ـ إلا الإنجيل وشكسبير . وعامة ما زالت صورة المواطن الإنجليزى فى العالم هى الرجل الذى ينتظر المترو وهو يطالع رواية لـ (أجاثا كريستى) كارهًا أن يقطع اندماجه شىء آخر .

ولدت (كريستى) عام ١٨٩٠ فى (توركوى) ببريطانيا ، وككل الكتاب الكبار فى الواقع مرضت لفترة ولزمت الفراش مما جعلها تجرب كتابة القصص على سبيل التسلية . وفى العام ١٩١٤ تزوجت الكولونيل (أرشيبالد كريستى) الذى منه أخذت اسمها . وبعد طلاقهما تزوجت عالم آثار هو مصدر الدعابة الشهيرة : كلما تقدم بى العمر اهتم بى أكثر !

(★) الكتيب رقم ٣٠ وعنوانه (لا تنتظرى الآن) ..

ومن عالم هـذا الزوج أغرمت (أجاثا) بالأسفار وحضـارة الشرق وكتبت رواية بوليسية كاملة فى مصر الفرعونية .

(أجاثا كريستى) خبيرة سموم من الدرجة الأولـى لأنهـا كانت ممرضة تشرف على السموم أثناء الحرب ، ولهذا تعد أكثر الكتاب البوليسيين استعمالاً للسموم فى القتل .

ولد (هركيول بوارو Poirot Hercule) عام ١٩٢٠ فى قصة (القضية الغامضة فى ستايلز) .. وهى التى اعتـاد المترجمون أن يترجموها بـ (القتل له أساليب) كأنهم ينسـون أن Styles هو اسم القصر ! وسوف نلاحظ أن (هاستنجز) يشير لهذه القصـة كثيرًا باعتبارهـا ذكرى غاليـة ، ومـن يومها لم يكف (بوارو) عن قهر المجرمين فى ٣٣ رواية . وقد انبهر القراء بهذا المخبر البلجيكى المتبختر البديـن الذى يصر على الكلام بالإنجليزية الرديئـة مصرًا على أنـه بليغ جدًا ، ولا يكف عن الفخر بخلايا مخـه الرماديـة . قصصه يحكيها كابتن (هاستنجز) صديق عمره ، والذى يتبعه ككلب أليف .. إن (هاستنجز) يمثل درة لـ (بوارو) لأنـه يريه كيف يفكر الرجل العادى متوسط الذكاء ، وبالتالى يعرف كيف يريد القاتل من الناس أن يفكروا . باختصـار (هاستنجز) يخبر (بوارو) بالطريقة التى يجب ألا يفكر بها !

قدمت (أجاثا) لنا كذلك العانس الذكية (مس ماربل) وخبير المشاكل العاطفية (باركر باين) .

كتبت (كريستى) ٧٩ رواية وعدة مسرحيات منها (مصيدة الفئران) التى بدأ تقديمها فى لندن عام ١٩٥٢ وما زالت تعرض حتى الآن حتى بعد وفاة المؤلفة عام ١٩٧٦ ! وهى المسرحية التى يخرج بطلها فى نهايتها ليرجو المشاهدين أن يكتموا السر .. وهى أيضًا المسرحية التى جعلت حفيد (كريستى) مليونيرًا لأنها وقفت أرباحها عليه !

بقى أن أقول إننى لم أر القصة الحالية مترجمة قط ، لكن لا توجد قاعدة بيانات تخبرنى بما تم ترجمته ، لذا إذا كنت قد رأيتها مترجمة من دار (السفرجل) فى (موريتانيا) فإننى أرجو أن تسامحنى !

الآن دعنا نطالع القصة معًا ..

د. أحمد خالد

- 1 -

من ذا الذى لم يشعر بغصة مفاجئة لدى استرجاع خبرة غابرة أو الشعور بعاطفة قديمة ؟

ـ « لقد فعلت هذا من قبل .. »

لماذا تحرك هذه الكلمات المرء بهذا العمق ؟

هذا هو السؤال الذى وجهته لنفسى إذ جلست فى القطار أرقب مناظر (إسكس) فى الخارج . منذ متى قطعت الرحلة ذاتها ؟ كنت أشعر بأن أفضل ما فى حياتى قد انتهى .. جرحت فى تلك الحرب التى لا حرب سواها بالنسبة لى ، والتى أزالت آثارها حرب أخرى أكثر يأسًا .

عام ١٩١٦ بدا للشاب (آرثر هاستنجز) أنه قد بلغ النضج . ولشد ما كنت قاصر التفكير لأن حياتى كانت فى بدايتها . كنت مسافرًا برغم أننى لم أعرف ذلك للقاء الرجل الذى سيغير حياتى ويعيد تشكيلها . فى الواقع كنت ذاهبًا للإقامة عند صديقى القديم (جون كافنديش) الذى تزوجت أمه للمرة الثانية وامتلكت بيتًا ريفيًا اسمه (ستايلز) .

ولم أكن أعرف أنى مندفع إلى التورط فى جريمة قتل غامضة .. وكان فى (ستايلز) لقائى مع ذلك الرجل الغريب صغير الحجم (هيركيول بوارو) الذى قابلته أول مرة فى (بلجيكا) .

لشد ما أتذكر جيدًا مبلغ دهشتى إذ رأيت هذا الرجل بشاربه الضخم يترنح فى شارع القرية . (هيركيول بوارو) ! منذ تلك الأيام ظل أعز صديق لى .. لقد شكل تأثيره حياتى كلها .. وخلال صحبتى له قابلت زوجتى .. أصدق وأعذب رفيق يمكن أن يظفر به أى رجل .

الآن هى ترقد فى تراب الأرجنتين كما تمنت دومًا دون أن تمر بعذاب الشيخوخة . لكنها خلفت وراءها رجلاً وحيدًا بالغ التعاسة .

آه .. لو كان بوسعى أن أعود للوراء وأعيش حياتى من جديد ! لقد كان (ستايلز) ذاته قد باعه آل (كافنديش) .. لقد مات (جون كافنديش) لكن زوجته (مارى) ذلك الكائن الفاتن (الملغز) كانت حية وتعيش فى (ديفونشاير) . اما (لورانس) فكان يعيش مع زوجته وأطفاله فى جنوب إفريقيا .. تغيرات .. تغيرات فى كل مكان ..

لكن شيئًا واحدًا بقى كما هـو لشدة الغرابـة .. لقد كنت ذاهبًا إلى (ستايلز) لألقى (بوارو) ..

لشد ما ذهلت لدى تلقى خطابه من (ستايلز) .. كنت لم أر صديقى القديم منذ عام تقريبًا . وقد صدمت عندما رأيتـه آخر مرة .. لقد صار رجلاً مسنًا كاد يقعده التهاب المفاصل .

قال فى خطابه :

ـ « ألا يدهشك يا صاحبى أن ترى العنوان الذى أكتب منه ؟ إنه يعيد الذكريات القديمة .. ألا ترى هذا ؟ أنا اليوم هنا فى (ستايلز) .. إنه ما يطلقون عليه (بيت ضيافـة) يديره أحد كولونيلاتك الشيوخ البريطانيون جـدًا .. فقـط زوجته هى التى تجعـل للمكـان قيمـة .. إنهـا مديرة بارعـة لكن لسانها لاذع كالخل والكولونيل المسكين يعانى الكثير منه . لو كان الأمر أمرى لذهبت لها حاملاً فأسًا !

« رأيت إعلانهما فى الصحف فتمنيت لو عدت ثانية إلـى ذلك المكان الذى كان أول بيت لى فى هذا البلد . إن المـرء ليشجيه أن يستعيد الماضى فى سنى هذه .

تصور أننى قابلت هنا سيدًا يحمل رتبة بارون ، هو صديق لمخدوم ابنتك . إنه يرغب فى استقدام آل (فرانكلين) هنا لقضاء الصيف .. وأنا بدورى فكرت فى أن أجلبك لتكون معًا enfamille .. سيكون هذا طيبًا جدًّا .. لذا عليك أن تصل يا عزيزى (هاستنجز) بأقصى سرعة .. لقد طلبت لك غرفة ذات حمام (لقد تقدم ستايلز القديم العزيز عما كان) .. وقد رتبت سعرًا marché bon très (رخيص جدًّا) مع زوجة الكولونيل .

لقد وصل آل (فرانكلين) وعزيزتك (جوديث) منذ أيام وقد تم ترتيب كل شىء .. أسرع ..

المخلص هركيول بوارو »

كان العرض مغريًا ، وقد وجدت نفسى أستجيب بلا معارضة . لم تكن لدى ارتباطات .. وأولادى كان أحدهم فى البحرية والآخر متزوجًا ويدير مزرعة ماشية فى الأرجنتين ، وابنتى (جريس) تزوجت جنديًا وهى معه فى الهند . أما (جوديث) فكانت ابنتى التى أحببتها سرًا أكثر من إخوتها وإن كنت لم أفهمها قط . كانت طفلة غامضة صموتًا تحب أن تتولى أمرها بنفسها مما ضايقنى أحيانًا .

كانت زوجتى أكثر تفهمًا وكانت تقول لى إن هذا لا يعود لقلة ثقتها بى لكنها مرغمة على ذلك . لكنها كانت تقلق على (جوديث) لأن مشاعر الأخيرة كانت عنيفة مركزة ، وكان تحفظها الفطرى يجعلها بلا أى صمام أمان . كان عقلها هو الأذكى فى أسرتنا ، وقد نفذنا لها رغبتها فى التعليم الجامعى . نالت البكالوريوس منذ عام ثم حصلت على وظيفة سكرتيرة لطبيب منهمك فى البحث العلمى الخاص بطب المناطق الحارة . وكنت أتساءل عما إذا كان إخلاص (جوديث) فى عملها لا يعنى أنها تحبه ، لكن انهماكها الجاد فى العمل جعلنى أطمئن .

كانت (جوديث) على ما أعتقد مغرمة بى ، لكنها لم تكن من الطراز الذى يظهر عواطفه ، وكانت تنتقد بحدة ما تطلق عليه أفكارى العتيقة العاطفية . بصراحة كنت أتوتر نوعًا بسبب ابنتى !

هنا قوطعت تأملاتى لدى دخول القطار محطة (ستايلز) .. على الأقل لم تتغير هذه .. ما زالت قابعة وسط الحقول بلا سبب ظاهر لوجودها .

إذ اخترقت سيارة الأجرة البلدة أدركت أنها تغيرت كثيرًا .. محطة بترول .. دار سينما .. عدة حانات .. لكن ما إن بلغنا (ستايلز) حتى بدأ الزمن يتراجع .. لم يتغير الممشى ولا البيت ذاته .. وبدا أن البيت بحاجة ماسة للطلاء .

وكما فى المرة الأولى رأيت شكل امرأة ينحنى على أحواض الزرع .. فأفلت قلبى ضربة . ثم استقام الشكل ودنا منى فضحكت من نفسى .. فما أشد اختلاف هذه عن (إيفيلين هوارد) النشيطة . كانت هذه امرأة مسنة لها شعر مجعد أبيض وافر وخدان متوردان وعينان زرقاوان باردتان ..

سألتنى :

ـ « كابتن (هاستنجز) بالتأكيد .. أليس كذلك ؟ إن يدى متسختان فلا أقدر على مصافحتك لكن تسعدنى رؤيتك .. ما أكثر ما سمعنا عنك ! أنا مسز (لوتريل) .. ابتعت أنا وزوجى هذا المكان فى نوبة جنون وما زلنا نحاول الانتفاع به .. لم أتصور نفسى صاحبة فندق قط ! »

على أننى خلف قشرة المرأة العجوز اللطيفة لمحت صلابة كحجر الصوان . وبرغم أن لكنتها كانت ذات طابع إيرلندى أحيانًا فإنها لم تكن إيرلندية .. كان هذا مجرد تصنع .

سألتها عن صديقى فقالت :

- « آه .. مستر (بوارو) المسكين .. لشد ما ظل ينتظرك .. آسفة أنا بشدة من أجله .. »

كنا نمشى نحو المنزل وهى تنزع قفازيها . وأردفت :

- « وابنتك الحسناء كذلك .. يا لها من فتاة لطيفة .. كلنا نحترمها بشدة .. لكننى من طراز عتيق كما تعرف ، وأرى أنها خطيئة وعار أن تمضى فتاة مثلها وقتها فى تشريح الأرانب والانحناء فوق مجهر .. هى التى كان يجب أن تذهب إلى الحفلات وترقص مع الشباب .. »

سألتها :

- « أين (جوديث) ؟ هل هى فى الخارج ؟ »

نظرت لى نظرة طفولية وقالت :

- « الفتاة المسكينة ! إنها فى ذلك السجن الضيق هناك فى نهاية الحديقة .. لقد استأجره د. (فرانكلين) منى .. لديه أكوام من خنازير (غينيا) والفئران والأرانب .. لست متأكدة من أننى أحب كل هذا الجو العلمى يا كابتن (هاستنجز) .. هو ذا زوجى ! »

كان الكولونيل قد جاء منْ ركن البيت .. كان رجلاً طويل القامة مسنًا نحيلاً له وجه ميت .. له عينـان زرقـاوان وقد اعتـاد جذب شاربه الأبيض الصغير . وكـانت لـه طريقـة عصبية غامضة :

- « أتيت بقطار الخامسة .. وأربعين دقيقة ؟ هه ؟ »

قالت مسز (لوتريل) :

- « وكيف يسعه أن يـأتى بطريقـة أخرى ؟ ومـا أهميـة هذا على كل حـال ؟ خذه للطابق العلوى وأره غرفتـه .. وبعدها ربما يرغب فى الذهاب إلى مستر (بوارو) .. »

قال مستر (لوتريل) :

- « ليكن .. تعـال معى .. اعتقد أنهـم .. هـه ؟ نقلـوا متاعك ؟ »

ومشيت وراءه نحو الباب .. فقابلنا رجلاً رمادى الشعر نحيل البنيان مندفعًا نحونا وفى يديه منظار مقرب .. كان له وجه طفولى وكان يعرج نوعًا .. وقال فى شىء من اللعثمة :

- « هناك زوج من الطيور تعشش عند شجر الجميز .. »

قال لى الكولونيل :

ـ « هذا (ستيفن نورتون) . رجل لطيف وإن كان مجنونًا بالطيور .. »

وفى البهو ذاته كان رجل ضخم للغاية يقف جوار المنضدة .. وكان من الواضح أنه فرغ من مكالمة هاتفية .. فقد نظر لأعلى وقال :

ـ « أتمنى أن أشنق كل المقاولين أو أربط كلاً منهم بين حصانين ليمزقاه .. اللعنة عليهم لا ينجزون أى شىء بنجاح .. »

كان غضبه مضحكًا حتى أننا لم نتمالك إلا أن نضحك .. وشعرت بانجذاب إليه من اللحظة الأولى . كان حسن المظهر برغم أنه تجاوز الخمسين .. ويبدو أنه عاش حياته فى الهواء الطلق .. سيد إنجليزى من المدرسة القديمة التى صارت نادرة .. مستقيم صريح يعشق حياة الخلاء وبوسعه أن يصدر الأوامر .

ولم أندهش كثيرًا عندما عرفت أن اسمه سير (ويليام بويد كارنجتون) .. كان يحكم مقاطعة فى الهند حيث أحرز نجاحًا بارزًا .. قال لى :

ـ « إن صديقك البلجيكى يتكلم عنك كثيراً .. وابنتك اللطيفة هنا كذلك .. »

قلت :

ـ « لا أعتقد أن ابنتى تتكلم عنى .. إنها تعتقد أن وجود أبوين للمرء مهانة حقيقية ! »

ضحك وقال :

ـ « لا أعانى هذا على كل حال لأنه لا أطفال لى .. ابنتك جميلة لكنها عالية الثقافة بشكل شنيع .. وهذا مقلق »

والتقط الهاتف وقال :

ـ « أرجو ألا تتضايق يا (لوتريل) إذا ما بدأت فى السباب .. فأنا لست بالرجل الصبور .. »

قال (لوتريل) :

ـ « فلتعن بهم »

واقتادنى إلى أعلى نحو جناح البيت الأيسر ففهمت أن (بوارو) اختار لى حجرتى القديمة . كانت هناك تغييرات .. لاحظت ان الحجرات الواسعة العتيقة تم تقسيمها لتصنع عدداً

أكبر من الغرف الصغيرة .. لكن غرفتى لم تتغير ما عدا دخول الماء الساخن والبارد .. كان متاعى فى الغرفة وقد شرح لى الكولونيل أن (بوارو) فى الغرفة المقابلة . كاد يصحبنى هناك عندما دوت صيحة عالية تقول (جورج) ..

ركضت إلى الغرفة المقابلة وقرعت الباب بينما نبضات قلبى تتسارع ..



- 2 -

لا شيء يحزن النفس في رأيي مثل رؤية الانهيار الذى يجلبه التقدم في العمر . يا لصديقي البائس .. لقد أقعده التهاب المفاصل لذا كان يتحرك في مقعد متحرك .. أما جسده الممتلئ فقد تهاوى .. إنه الآن رجل نحيل له وجه مجعد .. صحيح أن شاربه وشعره ظلا حالكي السواد إلا أنني ما كنت لأجرح شعوره بأن أقول له إن هذا خطأ .. إنها اللحظة الأليمة التي تكون فيها صبغة الشعر واضحة للجميع . لقد بد التأثير مسرحيًا كأنه وضع جمة وصبغ شفته العليا ليسلي الأطفال . فقط عينيه ظلتا كما هما ..

- « آه .. وا صاحبي (هاستنجز) ! وا صاحبي (هاستنجز) ! »

انحنيت له فاحتضنني بحرارة كعادته .. ثم أرجع رأسه للوراء وراح يتفحصني ..

- « نفس الكتفين العريضين والقامة المفرودة .. النساء .. femmes les .. هل مازلن يعجبن بك ؟ »

- « حقًا يا بوارو .. يجب أن .. »

- « حينما تأتى لك الفتيات الصغيرات ويتكلمن معك بمنتهى اللطف ، فهى النهاية .. إنهن يقلن لأنفسهن : يا للعجوز المسكين ! يجب أن نكون لطيفات معه .. هذا شىء مريـع .. لكنك يا (هاسـتنجز) jeune encore êtes vous (مـا زلـت شابًا) .. لكن الفرص ما زالت متاحة أمامك . »

انفجرت فى الضحك وسألته عن حاله فقال :

- « أنا ؟ أنا حطام .. خراب .. من رحمة اللـه أننـى مـا زلت أستطيع إطعام نفسى وإلا لأطعمونـى كـالرضيع .. لكن برغم هذا ما زال الداخل سليمًا .. »

- « نعم بالتأكيد .. أروع قلب فى العالم »

- « لا أتحدث عن القلب .. أتحدث عن المـخ يـا عزيزى .. فهو ما زال يعمل بروعة »

على الأقل كنت واثقًا من أن مخه لم يتغير من جهة التواضع ..

قلت له إن المكان يثير لدى ذكريات عزيزة لذا قصدته .. كلما تقدمنا فى العمر انتابتنا الرغبـة فـى استرجاع المـاضى .. وأعتقد أن لديه ذات الأسباب ، فقال لى :

ـ « لا أهتم بهذه الأمور ذرة .. تكلم عن نفسك .. أما عن وصولى إلى (ستايلز) أول مرة فتجربة أليمة محزنة .. كنت لاجئًا جريحًا هاربًا من وطنى أطلب الصدقة فى بلد غريب .. ولم أتصور ساعتها أن إنجلترا ستصير وطنى وأننى سأجد السعادة فيها .. إن الناس يرددون دومًا : يا لها من أيام ! كنت شابًا وقتها ، لكن لو رجعت بذاكرتك لوجدت أنك لم تكن سعيدًا على الإطلاق .. أنت تريد أن تعرف لماذا جئت هنا ؟ لقد جئت هنا كى أقبض على قاتل ! »

نظرت له فى ذهول للحظة وحسبت أنه يخدعنى .

ـ « هل تعنى هذا حقًا ؟ »

ـ « بالطبع .. وإلا لماذا تحسبنى طلبت مجيئك ؟ إن أطرافى واهنة لكن عقلى مازال سليمًا .. لهذا احتجت إلى (هاستنجز) الثمين معى بالنسبة للأجزاء النشطة من هذه الحملة .. أنا وأنت يا (هاستنجز) سنقوم بالصيد ثانيةً »

احتجت لبعض الوقت كى أتأكد من أنه جاد .. برغم غرابة ما قال لم يكن هناك ما يدعونى للشك .

قال بابتسامة بسيطة :

ـ « على الأقل أنت مقتنع .. »

ـ « لكن .. بدا لى هذا مكانًا غير متوقع .. »

ـ « تعتقد هذا ؟ »

ـ « لم أر كل الناس بعد »

ـ « من قابلت ؟ »

ـ « فقط آل (لوتريل) ورجلاً يدعى (نورتون) .. يبدو شابًا مهذبًا .. و(بويد كارنجتون) الذى يجب أن أقول إننى أعجب به »

هز (بوارو) رأسه وقال :

ـ « حسن .. سأقول لك هذا .. حتى بعد ما ترى باقى الموجودين سيظل ما قلته لك يبدو مستحيلاً كما هو الآن .. »

ـ « من أيضًا هنا ؟ »

ـ « آل (فرانكلين) .. والممرضة التى تعنى بمسز (فرانكلين) .. وابنتك (جوديث) .. ثم رجل يدعى

(ألرتون) .. نوع من فاتنى النساء .. وامرأة فى الخامسة والثلاثين تدعى مس (كول) .. »

ـ « وأحدهم قاتل ؟ »

ـ « اهدأ يا صاحبى وتعال نبدأ من البداية .. ناولنى هذا الصندوق من على المكتب .. حسن .. الآن المفتاح .. »

وإذ فتح صندوق الرسائل أخرج منه حزمة من الأوراق وقصاصات الصحف .

ـ « يمكنك أن تدرس هذه على مهل يا (هاستنجز) .. لن أضايقك بقصاصات الصحف لأنها مجرد أخبار عن مآس حدثت .. أقترح أن تكون فكرتك أولاً من الملخص الذى أعددته .. »

بدأت أقرأ والاهتمام يغمرنى ..

قضية أ . إثرنجتون :

(ليونارد إثرنجتون) شخصية لا تسر .. يتعاطى المخدرات ويدمن الخمر .. شخصية سادية غريبة الأطوار . زوجته جذابة تعسة معه . توفى الرجل بتسمم غذائى كما يبدو . أثبت التشريح أن الموت حدث بفعل الزرنيخ ومصدره مبيد أعشاب تم شراؤه منذ فترة . تم اعتقال الزوجة ووجهت لها تهمة القتل . التهمة الموجهة لها أساسها عدم وجود مشتبه فيه

آخر . كان التعاطف معها شديدًا أثناء المحاكمة بسبب سوء سمعة زوجها .. وقد بدا القاضى متعاطفًا معها .. فى النهاية أطلق سراحها . بعد عامين توفيت إثر تناولها جرعة كبيرة من الدواء المنوم .

قضية ب . شاربلس :

عانس عجوز عاجزة تعانى ألمًا شديدًا . ترعاها ابنة أخيها (فريدا كلاى) . ماتت الآنسة (شاربلس) إثر جرعة من المورفين . اعترفت ابنة أخيها بالخطأ وقالت إن عذاب عمتها كان لا يطاق مما اضطرها لإعطائها جرعة عالية . قالت الشرطة إن هذا التصرف كان متعمدًا لكن الأدلة كانت غير كافية .

قضية ج . ريجس :

(إدوارد ريجس) .. عامل زراعى .. شك فى أن زوجته تخونه مع مستأجر يدعى (بن كريج) . تم العثور على (كريج) والزوجة مقتولين بالرصاص . الطلقات من سلاح (ريجس) . سلم (ريجس) نفسه للشرطة وقال إنه لا يستبعد أن يكون فعلها لكنه لا يذكر .. حكم عليه بالإعدام ثم تم تخفيف الحكم إلى السجن مدى الحياة .

القضية د . برادلى :

(ديريك برادلى) كان على علاقة بفتاة واكتشفت زوجته هذا ، فهددت بقتله .. بعد هذا مات (برادلى) بسيانيد البوتاسيوم الذى وضع فى شراب الجعة الخاص به . قبض على الزوجة وحوكمت بتهمة القتل . اعترفت وأدينت وشنقت .

القضية هـ . لتشفيلد :

(ماتيو لتشفيلد) الطاغية العجوز . أربع بنات فى الدار لا يسمح لهن بأية متعة أو مال .. ذات ليلة أثناء عودته للدار تلقى ضربة على رأسه .. سلمت ابنته الكبرى (مارجريت) نفسها للشرطة بتهمة قتل أبيها . قالت إنها فعلت هذا كى تتمكن أخواتها من الحياة قبل فوات الأوان . ترك القتيل ثروة وتم إيداع (مارجريت) مصحة (برودمور) لجنونها لكنها ماتت بعد ذلك .

واصلت القراءة فى دهشة وفى النهاية وضعت الأوراق ونظرت إلى بوارو .. فقال :

ـ « حسن يا صديقى ؟ »

- « أذكر قضية (برادلى) .. كانت الزوجة رائعة الجمال »

هز (بوارو) رأسه موافقًا فقلت :

- « لكن عليك أن تشرح لى معنى هذا كله .. هذه خمس جرائم قتل حدثت فى أماكن مختلفة وطبقات مختلفة .. هل هناك ما يجمع هذه القضايا ؟ »

قال (بوارو) :

- « فى كل من هذه الجرائم لم تكن هناك أية شكوك حقيقية ! »

- « لا أعتقد أننى أفهمك »

- « مثلاً مسز (أثرنجتون) أطلق سراحها .. لكن كل الناس كانوا واثقين من أنها قتلت زوجها .. (فريدا كلاى) لم تُتهم لكن الجميع كان يثق فى أنها فعلتها .. (ريجس) قال إنه لا يذكر قتل زوجته لكن لم يشك أحد فى كونه فعل هذا .. ابنة (لتشفيلد) اعترفت .. هكذا ترى يا (هاستنجز) أنه فى كل حالة لم يكن هناك أى شك فى شخصية الفاعل »

قطبت وقلت :

ـ « نعم .. لكن لا أرى ما يثير اهتمامك هنا »

قال (بوارو) :

ـ « هناك جزء فى القصة لم أصل له بعد .. سأحاول أن أكون دقيقًا جدًا فيما أقول .. لنفترض أن هناك شخصًا يدعى (س) .. لم يكن هناك دافع واضح لدى (س) للقتل فى أية جريمة من هذه .. فى إحدى القضايا كان (س) على بعد مائتى ميل لدى وقوع الجريمة .. لكن (س) كان صديقًا حميمًا لـ (إثرنجتون) .. (س) عاش فى ذات قرية (ريجس) .. (س) كان يعرف مسز (برادلى) .. لدى صورة لـ (س) مع (فريدا كلاى) فى الشارع .. وكان قرب البيت الذى مات فيه (لتشفيلد) العجوز .. ما رأيك ؟ »

نظرت له وقلت :

ـ « هذا أكثر من اللازم .. لا يمكن أن تفسر الصدفة هذا .. »

- « إذن أنت تفترض ما افترضته ؟ أن (س) هو القاتل ؟ إذن لنمض خطوة للأمام .. إن (س) فى البيت معنا ! »

- « هنا ؟ فى (ستايلز) ؟ »

- « نعم .. ومعنى هذا أن جريمة قتل ستحدث هنا عما قريب ! »

★ ★ ★

- 3 -

نظرت لـ (بوارو) وصحت :

- « لا .. لن يحدث هذا .. أنت ستمنعه »

نظر لى فى حب وقال :

- « يا صديقى المخلص ! لشد ما تثق بى .. يؤسفنى أن الثقة لا تنطبق على موقفنا هذا .. فكر فى الأمر .. يمكن للمرء أن يقبض على قاتل لكن كيف يستطيع أن يمنع جريمة قتل ؟ »

- « ربما .. لو عرفت قبل أن .. »

- « ألا تفهم ؟ هناك ثلاث طرق فى الحقيقة .. أن تنذر الضحيةَ لتحمى نفسها .. هذا لا ينجح كثيرًا لأنه من الصعب إقناع الناس بأن هناك خطرًا على حياتهم من شخص قريب عزيز .. الطريقة الثانية أن تنذر القاتل .. لو مات فلان فلسوف تكون أنت المتهم وتشنق .. لكن القاتل مغرور ويعتقد أنه أذكى منى ومنك وعلى الأرجح سيواصل خطته .. لقد جربت إنذار القاتل مرتين إحداهما فى مصر .. وكانت النتيجة أن القاتل ظل مصرًا على القتل .. الطريقة الثالثة تحتاج إلى

ذروة العبقريـة .. أن تخمـن متـى وكيـف سـوف تهـوى الضربـة وتستعد لإيقافها فـى اللحظـة النفسية المناسبة .. يجب أن تقبض على القاتل قبل أن تتلوث يداه ، لكن حينما تتضح نيته .. هذه أصعب الطرق يا صاحبى .. لربما أكون مغرورًا لكن ليس إلى هذا الحد »

- « إذن الطريقة الأولى هى الأسهل »

- « نعم لكنها تحتاج إلى أن تعرف الضحيـة .. ألا تفهم أننى لا أعرف من ستكون الضحية ؟ يجب أن نجد الرابط بين هذه الجرائم .. لكنى لا أعرفه .. »

رحت أفكر .. المال ؟ الانتقام ؟ تذكرت قصة قتل عدد من الضحايا اتضح أن الرابط بينهم أنهم كانوا محلفين والقاتل كان رجلاً أدانوه ..

- « ومن هو السيد (س) ؟ »

- « هذا لن أقوله يا صديقى .. »

- « ولِمَ لا ؟ »

التمعت عيناه ، وقال :

- « لأنك يا (هاستنجز) العزيز لم تتغير .. ما زال وجهك يعبر عن أفكارك ، وأنا لا أريد أن تجلس أمام مستر (س) وفمك مفتوح ووجهك يقول : أنا أحدق فى وجه قاتل »

هنا دق الباب ثم انفتح ودخلت ابنتى (جوديث) ...

أحب أن أصف (جوديث) ابنتى لكنى لا أجيد الوصف .. هى فارعة القامة ولها حاجبان مستقيمان أسودان وخدان محببان .. جادة قاسية النقد ..

لم تأت لتقبلنى فهى ليست من هذا الطراز ، لكنها ابتسمت وقالت :

- « مرحبًا أبى »

أدركت من ابتسامتها أنها برغم عدم حبها لإظهار عواطفها مسرورة لرؤيتى .

قال (بوارو) :

- « إننى أصف لأبيك رداءة الطهى هنا .. »

- « هل هو بهذا السوء ؟ »

ـ « ما كان لك أن تسألى عن شىء كهذا .. يبدو أنك لا تفكرين إلا فى أنابيب الاختبار .. إصبعك الأوسط ملوث بأزرق الميثيلين .. لكن زوجك سيتضايق لو لم تفكرى فى معدته »

ـ « لن يكون لى زوج »

ـ « سيكون لك .. الزواج قبل كل شىء .. »

ونظر لى وقال :

ـ « يومًا ما ستفهم مدى حكمة الشيوخ .. »

هنا دق الباب ثانية ودخل د. (فرانكلين) .. كان رجلاً فارع الطول بارز العظام فى الخامسة والثلاثين ، له فك قوى الشكيمة وشعر أحمر .. كان أكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتى خرقًا .. لقد اصطدم بمقعد (بوارو) فقال بلا انتباه :

ـ « أرجو المعذرة »

كدت أضحك لكن (جوديث) ظلت صارمة صامتة . وقالت له :

ـ « أنت تذكر أبى .. »

نظر لى فى عصبية ومد يده ليقول بارتباك :

ـ « بالطبع .. بالطبع .. كيف حالك ؟ سمعت أنك قادم .. »

ثم نظر لها وقال :

ـ « هل ترين أن نعد المزيد من تلك الشرائح ؟ »

ـ « كلا .. أنا أرغب فى الكلام مع أبى »

فجأة ابتسم واحمر وجهه وقال :

ـ « أنا آسف .. أنا أستغرق فى الأمور بقوة .. لهذا أبدو أنانيًا بشدة ولا أستطيع الاعتذار .. »

دقت الساعة فنظر لها مذعورًا :

ـ « يا إلهى الرحيم ! هل الوقت متأخر لهذه الدرجة ؟ لقد وعدت (باربرا) بأن أقرأ لها قبل العشاء »

واندفع خارجًا ليصدم الباب أثناء خروجه .

قالت (جوديث) :

ـ « هذا غباء .. لو أرادت تلك المرأة من يقرأ لها فممرضتها قادرة على ذلك .. بصراحة كنت سأكره أى شخص يقرأ لى بصوت عال .. إنها امرأة شديدة الغباء .. »

قال (بوارو) :

ـ « أنا أختلف معك يا صغيرتى »

ـ « إنها لا تقرأ إلا الكتب الرخيصة ولا تهتم بما يعمله زوجها .. إنها لا تفعل إلا الكلام عن حالتها الصحية مع أى شخص يستمع .. هى امرأة تمارس أنوثتها بشدة .. تهدل كالحمام وتقر كالقطط .. أحسبك تحب النساء اللاتى على شاكلتها أيها العم (هيركيول) .. »

قلت أنا :

ـ « بالعكس .. يحبهن ثريات متبخترات وروسيات .. »

قالت (جوديث) باسمة :

ـ « أنتما شخَصان مسليان فعلاً »

دق (بوارو) جرسًا صغيرًا فدخل خادم له وجه البقرة ليدفع المقعد .. كان هذا هو خادمه (كيرتس) الذى حل محل خادمه القديم (جورج) .. لقد طلب هذا الأخير أن يسافر للعناية بأبيه المريض كما أخبرنى (بوارو) .

هرعت أنا إلى حجرتى لأستحم وأبدل ثيابى قبل العشاء .

* * *

- 4 -

نزلت للعشاء فى المساء شاعرًا بأن الحياة لم تعد واقعية . مرة أو مرتين سألت نفسى عما إذا كان (بوارو) تخيل القصة كلها . إن العجوز العزيز يؤكد أن عقله ما زال يعمل بكفاءة ، لكن هل هو كذلك فعلاً ؟

لقد قضى حياته كلها يفتش عن الجرائم ، فهل يدهشنا أنه قرب النهاية راح يتخيل وجود الجرائم حيث لا وجود لها ؟ لقد قرأ مجموعة من الأخبار وتخيل وجود ظل وهمى خلفها .. لقد قتلت مسز (إثرنجتون) زوجها فعلاً .. العامل أطلق الرصاص على زوجته .. فتاة سممت عمتها بالمورفين .. زوجة غيور تخلصت من زوجها .. وعانس مجنونة نفذت الجريمة التى اعترفت بها .. باختصار هذه الجرائم هى بالضبط ما تبدو عليه !!

قبل العشاء تم تقديمى إلى مس (كول) والميجور (ألرتون) .. كانت الأولى امرأة فارعة القامة وسيمة التقاطيع فى الثالثة والثلاثين .. لكننى كرهت الميجور بالسليقة . كان وسيمًا فى أوائل الأربعينات عريض الكتفين

برونزى الوجه كل ما يقوله ذو معنيين .. وكانت الانتفاخات تحت عينيه تشى بإسراف فى الملذات ، كما كان من الواضح أنه ناجح مع النساء . وضايقنى أن لاحظت أن (جوديث) تميل إلى صحبته . لماذا يكون أسوأ الرجال قادرًا دومًا على إثارة شغف ألطف النساء ؟ كان هذا سؤالاً أبديًا لا أجد له إجابة .. تسعة من عشرة رجال يمكن أن يؤكدوا أن (ألرتون) متعفن .. لكن تسعًا من عشر نساء كن على استعداد للوقوع فى حبه .. .

جلست على مائدة العشاء أنظر فى الوجوه .. لو كان (بوارو) على حق فأحد الجالسين هنا قاتل .. وربما مجنون كذلك .. فمن هو ؟

طبعًا ليس الكولونيل (لوتريل) بتردده وضعفه .. (نورتون) الرجل الذى كان يحمل منظارًا مقربًا ؟ هذا يبدو صعبًا .. يبدو لى رجلاً لطيفًا يفتقر للفعالية .. لكن لا ننكر أن أكثرَ القتلة رجالٌ لا شأن لهم ، وقد قتلوا لهذا السبب بالذات .. إلا أننى كنت أعتبر عشق الرجل للطيور والطبيعة علامة على سلامة شخصيته وصحتها ..

(بويد كارنجتون) ؟ غير وارد .. فهو رجل رياضى شهير محبوب ذائع الصيت .. وكذا لم أشتبه بـ (فرانكلين) ..

إذن ماذا عن (ألرتون) ؟ رجل قذر لو بحثت عن واحد .. نوع الرجل الذى يمكن أن يسلخ جدته .. ولو قتل فلن يفعل هذا إلا للربح ..

صحيح أن (بوارو) لم يقل قط إن (س) رجل .. فكرت فى مس (كول) كاحتمال .. حركاتها قلقة ومن الجلى أنها عصبية .. جميلة لكن كالساحرات الشريرات .. لكنها برغم هذا تبدو طبيعية بما يكفى .. ولم تكن مسز (فرانكلين) موجودة لأنها كانت تتناول الطعام فى غرفتها ..

بعد العشاء وقفت أنظر خارج النافذة فشعرت بـ (جوديث) تتأبط ذراعى وتخرج بى إلى الشرفة ..

قالت لى :

ـ « أنا مسرورة يا أبى لأنك لم تحاول قط أن تسيطر على حياتنا .. ليس من العدل أن يسيطر الشيوخ على الشباب المتمتعين بالقوة .. نحن نبدو أنانيين لكم .. نحن كذلك .. لكنها أنانية حميدة .. كل ما نطلبه هو أن تتركونا نعيش حياتنا .. »

قلت لها :

ـ « فى الحقيقة كنت أتمنى أن أتدخل فى كل تفاصيل حياتك يا صغيرتى ، لكن أمك لم تسمح بذلك .. »

قالت :

ـ « لقد عرفت قصة ما .. عن رجل فظ عجوز .. وحينما جرؤت إنسانة ما على قطع العقدة لتحرر الأشخاص الذين أحبتهم ، اتهموها بالجنون .. جنون ؟ كان هذا أعقل شىء يمكن أن يفعله إنسان .. وأشجعه ! »

شعرت بخوف مفاجئ .. أين منذ وقت ليس بالقصير سمعت كلمات كهذه ؟

قلت بحدة :

ـ « (جوديث) .. عن أية قضية تتكلمين ؟ »

ـ « آه .. لا أحد .. بعض أصدقاء آل (فرانكلين) .. عجوز يدعى (لتشفيلد) .. كان ثريًا لكنه حرم بناته إلى درجة الجوع .. كان مجنونًا لكن ليس بما يكفى بالمعنى الطبى .. »

ـ « وقتلته ابنته الكبرى ؟ »

ـ « آه .. يبدو أنك قرأت عنهـا ؟ يعتبرون هذه جريمـة قتل ، لكنها بلا أسباب شخصية .. لقد سلمت (مـارجريت) نفسها للشرطة .. كانت شجاعة جدًا »

ـ « شجاعة القتل أم شجاعة تسليم النفس للشرطة ؟ »

ـ « كلاهما .. »

ـ « هذا يسعدنى جدًا .. وما رأى مستر (فرانكلين) ؟ »

ـ « يرى أن العجوز استحق هذا .. بعـض النـاس يستحقون أن يقتلوا يا أبى .. »

ـ « لا احب أن تتكلمى بهذه الطريقة يا (جوديث) .. »

ـ « ليكن .. دعنا ننه الموضوع هنا .. لدى رسـالة مـن مسز (فرانكلين) .. إنها تريد أن تراك فى غرفتها .. »

ـ « هذا يسرنى .. يؤسفنى أن المرض منعها من المجىء للعشاء »

ـ « هى بخير .. فقـط هى تحب أن تحدث ضجـة حول نفسها .. »

بالفعل يفتقر الشباب إلى الشفقة ..

* * *

- 5 -

لم ألق مسز (فرانكلين) إلا مرة من قبل .. كانت فى الثلاثين من طراز (المادونا) كما يجب أن أصفها .. عينان بنيتان واسعتان وشعر مفروق عند المنتصف وجلدها شفاف هش . كانت راقدة فى الفراش مستندة إلى الوسائد .. وكان (فرانكلين) و(بويد كارنجتون) هناك يحتسون القهوة .. مدت لى يدها وقالت :

- « ما أسعدنى بقدومك يا كابتن (هاستنجز) .. سيكون هذا لطيفًا لـ (جوديث) .. لقد أرهقت نفسها فى العمل »

وتنهدتْ وأردفتْ :

- « أحسدها .. إنها لا تعرف حقًا ما معنى السقم .. أقدم لك الممرضة (كريفن) .. الطيبة معى إلى درجة شنيعة شنيعة .. لا أعرف ما بوسعى عمله من دونها .. تعاملنى كطفل رضيع »

كانت الممرضة امرأة حسنة المظهر لها شعر أحمر .. ولها يدان بيضاوان طويلتان تختلفان عن أيدى الممرضات .. وأردفت مسز (فرانكلين) :

ـ « إن (جورج) يعذب ابنتك البائسة بكل ما يكلفها به .. إنه نخاس عبيد .. فعلاً نخاس عبيد .. ألا ترى هذا يا (جورج) ؟ »

كان واقفًا فى النافذة يصفر ويعبث بالعملات فى جيبه فالتفت سائلاً :

ـ « ماذا ؟ »

ـ « كنت أقول إنك ترهق (جوديث) المسكينة بشكل مخجل .. الآن أبوها هنا ونحن لن نسمح لك بالمزيد »

لم يكن المزاح من صفات د. (فرانكلين) القوية .. لذا نظر لنا فى قلق وغمغم ..

ـ « يجب أن تخبرينى لو كان هذا صحيحًا »

قالت (جوديث) :

ـ « هم فقط يمزحون .. بالمناسبة كنت أريد سؤالك عن صبغة الشريحة الثانية التى .. »

قال فى حماس :

ـ « نعم .. نعم .. لنذهب إلى المختبر ونر .. »

وسرعان ما غادرا الغرفـة .. هنا قالت الممرضة فجأة وبلا رضا :

ـ « أعتقد أن النخاس هو مس (هاستنجز) .. على ما أظن »

تنهدت مسز (فرانكلين) وقالت :

ـ « أنا اشعر بعدم الكفاءة .. كان على أن أهتم أكثر بعمل زوجى لكنى لا أستطيع .. الأمر كله (مقرف) .. كل هذه الفئران وخنازير غينيا .. يع ! »

دنا منها (بويد) وامسك بيدها وقال :

ـ « أنت لم تتغيرى يا (باربرا) .. ما زلت أذكر حبك للطيور والحيوانات الجميلة .. »

كان وجهه قد اكتسب طابعًا حانيًا شبه أنثوى وقد أدهشنى هذا لأنه كان رجلاً مفعمًا بالرجولة .. ونظر لى وقال :

ـ « (باربرا) وأنا صديقا لعب قديمين .. »

قالت لى مفسرة :

ـ « أهلى كانوا يعيشون هنا .. وكان (ويليام) يأتى لزيارة عمه فى بيته القريب .. وقد علمنى لعب الجولف .. هل أنسى هذا ؟ »

قال لها :

ـ « كان ذلك البيت ضريحًا ومازال .. .كل ما استطعت عمله إضافة بعض المقاعد .. لكنه بحاجة إلى امرأة تبعث فيه الحياة .. »

ـ « أنا مستعدة لأن آتى وأعاونك فى تنسيقه »

ثم تمنينا لها ليلة هادئة وانصرفنا .. قال لى سير (كارنجتون) :

ـ « لن تتصور أية امرأة لطيفة كانت فى السابعة عشرة .. إننى أكبرها سنًا وكنت قد عدت من (بورما) حيث توفيت زوجتى هناك .. لا تتضايق لو قلت لك إننى همت بها حبًا إلا أنها تزوجت (فرانكلين) .. لا تعتقد أنها زيجة سعيدة .. أنا أعرف أن هذا سبب سقمها .. الرجل لا يفهمها على الإطلاق وهى حساسة جدًا .. »

دهشت لأن ينجذب رجل مثله لها .. فهى مجرد كائن مريض وإن كانت جميلة كأنها ملفوفة فى صندوق شيكولاته .. هو رجل مليء بالحياة لا أحسبه يطيق هذا الطراز العصابى من النساء .. لكن لابد أنها كانت فاتنــة فى شبابها ، ومع الرجال المثاليين مثل (بويد) تبقى الانطباعات الأولى للأبد ..

اتجهت لـ (بوارو) فوجدته فى فراشه .. قلت له :

- « سحقًا لك يا (بوارو) ولعادتك فى إبقاء الأوراق فى كمك .. ظللت طيلة العشاء أحاول تخمين من هو (س) .. »

- « حسن .. ومن فكرت فيه ؟ »

- « وهل تخبرنى إذا كنت محقًا ؟ »

- « بالطبع لا .. »

- « فكرت فى (نورتون) »

لم يتبدل وجهه .. فقلت :

- « لا يوجد شيء يشير إليه .. فقط كان أقل الموجودين جانبية لى .. ثم هناك (ألرتون) .. لا أعرف مـا تـراه النســاء فيـه .. »

ـ « الخطر .. الاحتمالات .. كل إنسـان يا صاحبى يحب بعض توابل الخطر فى حياته .. البعض يقرأ عنها .. البعض يجدها فى السينما .. النساء يجدن الخطر فى نموذج النمر .. المخالب المغلفة .. الخيانة .. بينما يتجاهلن الرجل المحترم الذى يصلح زوجًا »

قلت له :

ـ « إننى متضايق جدًا من كلامك عن انفلات لسانى .. »

قال :

ـ « ليس هذا هو السبب الوحيد يا (هاستنجز) .. ألم تفهم بعد يا عزيزى أن معرفة القاتل قد تكون خطرة ؟ ألم تفهم أننى مشغول بسلامتك ؟ »

نظرت له مفتوح الفم .. حتى هذه اللحظة لم أفكر فى هذه النقطة قط .. لكنها حقيقية .. لو أن قاتلاً واسع الحيلة استطاع أن ينفذ خمس جرائم ويفر ، فوجئ بأن هناك من يقفو أثره ، فإنه قد يشكل خطرًا .

قلت فى حدة :

- « إذن فأنت نفسك فى خطر يا (بوارو) »

أتى بحركة ازدراء سمحت بها إعاقته وقال :

- « اعتدت هذا .. يمكننى حماية نفسى .. ثم أليس كلبى الوفى معى هنا ليحمينى ؟ صديقى المخلص (هاستنجز) ؟ »

★ ★ ★

- 6 -

تركت (بوارو) وهبطت إلى الطابق الأسفل وقلبى يعتصره الألم .. فعلاً لا أتخيل حياتى من دون (بوارو) .. .

كانت هناك جولة (بريدج) حاسمة فى القاعة وقد دعيت للمشاركة .. جلست مع (نورتون) والكولونيل ومسز (لوتريل) . لم يكن الكولونيل لاعبًا سيئًا لكنى أدركت أن وجود زوجته يجعله عصبيًا .. لذا كانت أخطاؤه تتضاعف .. كانت هى لاعبة بارعة لكن اللعب معها لا يسر النفس .. وكانت تتجاهل القواعد إذا كان خصمها لا يلاحظ .. وتصر على التمسك بها إذا كانت فى صالحها .. وتختلس النظر إلى الأوراق فى يد منِ يلعب ضدها .. باختصار كانت تلعب للفوز ..

وبدأت أفهم ما قصده (بوارو) بأن لسانها حاد كالخل .. لأنها كانت تلوم زوجها علنًا كلما أخطأ ، وقد فقدت كل تحكم فى نفسها .. وهكذا شعرت بالراحة عندما انتهت الجولة ..

نهضت و(نورتون) فوجدته قد أطلق العنان لمشاعره :

- « كان هذا مريعًا يا (هاستنجز) .. يضايقنى أن أرى الفتى العجوز يهان بهذه الطريقة .. ويا للطريقة الخنوع

التى يتلقى بها هذا ! لم يبق داخله الكثير من المحارب العجوز فى الهند »

طلبت منه الصمت لأن صوته ارتفع حتى خشيت أن يسمعه الكولونيل العجوز .

قلت له :

ـ « سوف أفهم لو أنه رفع عليها الفأس يومًا ما »

هز (نورتون) رأسه .

ـ « لن يفعل .. سوف يستمر فى هذا الخنوع .. ويظل يجذب شاربه حتى يغيب فى التابوت .. »

توقفنا وقد لاحظت أن الباب المؤدى للحديقة مفتوح والهواء يهب منه . فسألت :

ـ « أليس حريًا بنا أن نغلقه ؟ »

ـ « أ .. لا أظن الجميع قد عاد من الخارج .. »

هنا تسلل الشك إلى رأسى فسألت :

ـ « من بالخارج ؟ »

- « ابنتك على ما أعتقد .. و .. أ .. (ألرتون) »

حاول أن يجعل نبرته عادية ، لكن المعلومة التى جاءت بعد محادثتى مع (بوارو) جعلتنى عصبيًا . (جوديث) و(ألرتون) .. (جوديثى) الرقيقة الذكية .. لن يخدعها رجل كهذا .. سوف ترى أعماقه بلا شك .

هكذا حاولت أن أطمئن نفسى لكنى لم أستطع النوم وظللت أتقلب من جانب لآخر .. فهكذا يحدث مع مخاوف الليل .. كل شىء يتضخم .. لو أن زوجتى كانت حية .. كنت أعتمد على نصائحها فى تربية الأطفال .. ومن دونها أشعر بالعجز بشكل مثير للشفقة ..

فى النهاية أضأت النور وجلست .. يجب أن أنام ..

أحتاج لشىء يساعدنى على النوم ، وفكرت فى أن (بوارو) عنده شىء كهذا ..

عبرت الممر إلى غرفته ووقفت مترددًا .. من المخجل أن أوقظ الصبى العجوز .. هنا سمعت خطوات فنظرت خلفى .. كان (ألرتون) قادمًا من الممر نحوى .. كان الظلام شبه دامس ولم أتبين وجهه إلا عندما دنا منى .. ثم

تبينت أنـه يبتسـم لنفسـه ولم أحب هـذه الابتسـامة علـى الإطلاق .

نظر لى ورفع حاجبيه . وقال :

ـ « مرحبًا (هاستنجز) .. هل ما زلت متيقظًا ؟ »

ـ « لم أستطع النوم »

ـ « لدى ما يساعدك .. فقط اتبعنى »

تبعته لغرفته التى كانت جوار غرفتى .. كنت أرغب فى دراسة عالم هذا الرجل أكثر .

قال لى :

ـ « لست ممن يدخلـون الفراش مبكرًا خاصـة إذا كنت أمارس الرياضة .. هناك ليال رائعة لا أحب تضييعها ! »

وضحك فلم أحب ضحكته على الإطلاق .

أخرج علبة أقراص من الخزانة وناولها لى قائلاً :

ـ « صنف ممتاز .. ستنام مثل لوح خشب وتحلم أحلامًا طيبة كذلك .. اسمه التجارى (سلامبيريل) .. »

نظرت له مفكرًا .. هل يتعاطى المخدرات كذلك ؟

ـ « هل هو خطر ؟ »

ـ « فقط لو زدت الجرعة .. إنه من الباربيتيورات التى تقترب جرعتها السامة من جرعتها العلاجية .. »

كانت حماقة منى لكنى برغمى قلت له :

ـ « هل تعرف (إثرنجتون) ؟ »

هنا أدركت أنى قرعت جرسًا ما .. لقد ظهر الحذر فى عينيه وتغير صوته وهو يقول :

ـ « آه .. نعم .. الفتى المسكين .. كان يتعاطى المخدرات لكنه بالغ فى ذلك .. زوجته كانت محظوظة فلو لم يتعاطف معها المحلفون لشنقت »

ثم سألنى :

ـ « هل كنت تعرفه ؟ »

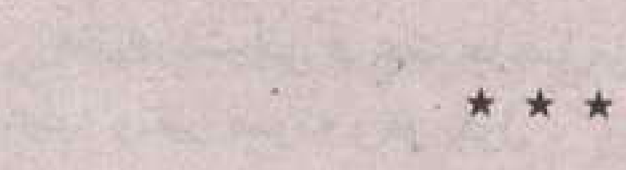
ـ « لا .. »

بدا لا يعرف كيف يستمر ثم أنهى الأمر بضحكة خفيفة ..

ـ « شاب لطيف .. ليس بـالضبط شخصية مناسبة للتدريس بمدرسة الأحد .. لكنه كان رفيقًا جيدًا أحيانًا »

شكرته على الأقراص وعدت لغرفتى . وإذ رقدت وأطفأت الأنوار تساءلت عما إذا كنت تصرفت بحمق .

خطر لى أن (ألرتون) هو نفسه (س) وقد جعلته يدرك بوضوح ما يدور فى رأسى .



★ ★ ★

لا بد أن سردى للأيام التى أمضيتها فى (ستايلز) يبدو مضطربًا .. فإننى إذ أتذكرها أتذكرها كسلسلة من المحادثات . من الكلمات الموحية حفرت نفسها فى لا وعيى . أولاً أدركت مدى عجز (بوارو) الجسدى .. وعرفت أن دورى يوشك على أن أكون عينى (بوارو) وأذنيه .

بعد وصولى اخذنى (فرانكلين) إلى غرفة صغيرة (ستوديو) فى الحديقة تم تجهيزها لأغراض علمية . دعنى أعترف هنا والآن أننى لا أتمتع بعقل علمى ، لذا لو حاولت الكلام عن تجارب د. (فرانكلين) لأخطأت واستحققت سخرية من يفهمون هذه الأمور .

على قدر علمى كجاهل ، فإن تجارب (فرانكلين) كانت على بعض القلويدات المستخلصة من بازلاء (كالابار) venenosum Physostigma .. حاولت (جوديث) أن تشرح لى الأمر مستعملة كلمات مثل الفيزوستيجمين والإيزيرين والجينسيرين . كانت هذه ألغازًا بالنسبة لى وقد أثرت

سخريتها عندما سألتها عن نفع هذا كله للبشرية .. لا يوجد سؤال أسخف من هذا لأى عالم ..

على كل حال فهمت أن بعض قبائل غرب إفريقيا تملك مناعة ضد مرض غامض قاتل يدعى حسب ما أذكر (جوردانيتيس Jordanitis) .. كان هناك من يدعى د . (جوردان) بحث فيه بحماس .. كان مرضًا نادرًا لكنه يصيب البيض فى المناطق الحارة ونتيجته قاتلة .

أفهمتنى (جوديث) أن هدف البحث العلمى ليس إفادة البشرية بل توسيع قاعدة معلوماتها . وهكذا رأيت بعض الصور والشرائح ثم فررت إلى الهواء الطلق .

كان د. (فرانكلين) يقول لـ (بوارو) :

ـ « هذه البازلاء غريبة الشأن .. قبائل غرب إفريقيا تؤمن بها .. أو كانت تؤمن بها .. يستعملونها أداة لتفرقة المذنب من البرئ .. إنهم يمضغون هذه الحبوب واثقين من أنها تقتلهم لو كانوا مذنبين ولا تؤثر فيهم لو كانوا أبرياء .. هناك نوعان من هذه الحبوب لا يمكنك أن تلاحظ الفارق بينهما .. النوع الأول به الإيزيرين والفيزوستيجمين ..

النوع الثانى يحتويهما أيضًا لكن مع قلويد ثالث يعادل تـأثير هذين السمين .. هذا النوع الثانى يأكلـه الكهنـة فى طقس سرى .. وهكذا لا يصابون بـالجوردانيتيس أبدًا .. هذه المـادة الثالثة لها تـأثير خـارق علـى العضـلات لكنهـا لا تسبب أى أذى .. هذا مثـير جدًا .. لكن للأسف القلويد غير مستقر .. لهذا أنا أبيع روحى مقابل أن أجرى تجاربى هناك »

قال (بوارو) :

ـ « هذا الاختراع مفيد لى جدًا .. كانت مهنتى لتكون فى غاية السهولة لو كان عندى شىء كبازلاء كالابار أختبر بـه الصدق والكذب .. »

قال د . (فرانكلين) :

ـ « إن مشكلتك لا تنتهى هنا .. ما هى البراءة والإثم ؟ مفهوم هذين يتغير من زمن لآخر .. معنى هذا أنه لا وجود لهما .. ما تستطيع قياسه هو الشـعور بـالبراءة أو الإثم .. لنفترض أن رجلاً يعتقد أن لديه الحق الإلهى ليقتل دكتـاتورًا أو مرابيًا أو قوادًا .. هكذا يرتكب مـا يبدو لـك أنت عمـلاً إجراميًا .. لكنـه يعتبر هذا عمـلاً مقدسًـا .. مـاذا بوسـع البازلاء أن تعمل ؟ »

قلت له :

ـ « لكن الشعور بالذنب يتزامن مع القتل .. »

ـ « هناك الكثير من الناس أتمنى لو قتلتهم ولـن يبقينـى ضميرى ساهرًا الليل بعدهـا .. فكرتـى أن ٨٠٪ من البشر يجب التخلص منهم .. ولسوف تكون الحياة أفضل بدونهم »

وانصرف وهو يصفر راضيًا عن نفسه .

★ ★ ★

بعد تردد قررت أن أنصح (جوديث) بصدد (ألرتون) . كنت أعرف أنها فتاة عاقلـة لا تنجذب بسـهولة لرجل مثل (ألرتون) .. لكنــى أردت أن يطمئن قلبـى . للأسف يبدو أننى تسرعت .. ما من شـىء يمقتـه الشباب قدر نصيحـة الأبوين .. وقد قالت لى :

ـ « ما هذا ؟ تحذير أبوى من الذئب الكبير ؟ »

ـ « لا يا (جوديث) .. لا .. »

ـ « أفهم من هذا أنك لا تطيق الميجور »

ـ « بالفعل .. وأحسبك كذلك .. لا أعتقد أنه طابعك »

ـ « وما هو طابعى يا أبى ؟ »

ارتبكَت .. فقالت :

ـ « الحقيقةَ أنه رجل مسل .. جذاب جدًا بالنسبة للنساء وبالطبع لا يراه الرجال كذلك .. بصراحة يا أبى ألا تدرك إننى كبرت بما يكفى كى أتولى حياتى بنفسى ؟ إن تدخل الآباء اللامبالى فى أمور أولادهم هو ما يضايقنى بصدد الأهل .. أنا أحبك كثيرًا لكن حياتى هى حياتى .. »

آلمنى كلامها جدًا حتى أننى لم أستطع الرد وانصرفت على الفور .

كنت شارد الذهن عندما سمعت صوت ممرضة مسز (فرانكلين) تقول لى :

ـ « أدفع بنسًا مقابل أفكارك يا كابتن (هاستنجز) »

كانت الممرضة (كريفن) شابة جميلة فعلاً ، وكانت طريقتها أقرب إلى التبسط ورفع الكلفة لكنها كانت ذكية لطيفة . ودار الحديث عن د. (فرانكلين) وزوجته فقالت لى :

ـ « إن زوجته لا تعرف أى شىء عن عمله .. هو رجل ذكى مسكين .. »

ـ « مسكين ؟ »

ـ « نعم .. الزواج من المرأة الخطأ .. لقد رأيت هذا كثيرًا .. لا يوجد شىء مشترك بين الزوجين .. »

ـ « لكنه يبدو مهتمًا بها بشدة .. ويرعاها جيدًا .. لكن هل تعتقدين أنها تساومه بمرضها ؟ »

ضحكت وقالت :

ـ « كل ما تريده سيادتها يتحقق .. بعض النسوة كذلك .. ما إن يعارضهن أحد حتى يستلقين على ظهورهن ويمرضن .. أو يصبن بنوبة عصبية .. »

ـ « لكنها مريضة فعلاً .. أليس كذلك ؟ »

نظرت لى ثم قالت ببرود :

ـ « نعم .. هى كذلك »

هنا جاء (بويد كارنجتون) .. كما هو معتاد شخصية نشطة تزيل أية مخاوف فى طريقك .. كان واحدًا من تلك الشخصيات القوية المندفعة التى تشع المرح والتفاهم .

ـ « صباح الخير يا كابتن .. صباح الخير أيتها الممرضة .. أين مسز (فرانكلين) ؟ »

ـ « صباح الخير يا سير (ويليام) .. مسز (فرانكلين) فى الحديقة تحت أشجار الزان قرب المختبر »

ـ « والدكتور فى المختبر ؟ يا له من رجل ! لو كانت عندى سكرتيرة حسناء مثل (جوديث) لظللت أنظر لها بدلاً من النظر إلى خنازير غينيا »

كانت هذه بالضبط نوع الدعابات التى تكرهها (جوديث) لكنها راقت للممرضة .

ثم إن سير (ويليام) دعانى لجولة معه فى بيته الريفى المدعو (ناتون) فقبلت على الفور .

★ ★ ★

استمتعت بيومى حقًا .. ليس لأن الجو كان صحوًا فحسب بل لأن الرجل كان صحبة ممتعة .. كانت شخصية الرجل مغناطيسية وكان خبيرًا بالبلدان والناس .. حكى لى عن أيامه فى الهند وعن قبائل شرق إفريقيا ..

أحببت كذلك طريقته فى الكلام عن صاحبى (بوارو) .. كان يحترمه فعلاً .. وكان حزينًا من أجل تدهور صحته لكنه لم يبد علامة شفقة عليه .. والأهم أنه كان متأكدًا من قدراته العقلية ..

ـ « خطأ فادح أن تفترض أن مخ الرجل يتدهور لمجرد أن جسمه زاو .. أنا لا أجرؤ على ارتكاب جريمة فى وجوده ليس بسببه فحسب ، بل لأننى لا أجيد تخطيط الأمور .. سوف أرتكب الجريمة وحى ساعتها .. سوف أترك آثارًا تدل على فى كل مكان .. لحسن الحظ أننى لست من الطراز الذى يرتكب الجرائم .. الشخص الوحيد الذى يمكن أن أقتله هو المبتز .. كنت أرى دومًا أن المبتزين يجب أن يعدموا بالرصاص »

كان البيت يخص عمه .. وكان الرجل ناسكًا يمقت الاختلاط بالبشر .. وقد تربى سير (ويليام) هنا مع أخيه أيام المدرسة .. لم يتزوج العم وأنفق عشر ثروته لا أكثر . لهذا وجد ورثته أنهم أغنياء جدًا .

راح يحكى لى مأساته الخاصة .. الزوجة الشابة الجميلة المليئة بالحيوية ، لكن تاريخ أسرتها ملوث .. كل أفراد

أسرتها تقريبًا ماتوا من إدمان الخمر .. وسـرعان مـا أصابتهـا تلك اللعنة .. وسرعان ما ماتت بعد الزواج بعام واحد ميتـة مدمنى الكحول . لم يلمها لأنــه افترض أن الوراثـة لعبت دورا معها .. وبعد موتها قرر ألا يتزوج ثانية .. أو كما قال :

ـ « المرء يشعر بأمان أكثر عندما يكون وحيدًا .. »

* * *

- 8 -

مرت الأيام .. كان وقتًا مزعجًا مع ذلك الشعور بأنك تنتظر شيئًا ما . لم يحدث شيء على الإطلاق . كانت هناك محادثات عابرة ، فلو تمكنا من جمع هذه الملحوظات لاستطعنا أن نعرف شيئًا .. فقط (بوارو) هو الذى استرعى انتباهى لشيء كنت أعمى عنه .

كنت أشكو لـ (بوارو) إخفاءه بعض الحقائق عنى .. لم يكن هذا عدلاً لأننى اعتدت أن أعرف قدر ما يعرف .. لوح بذراعه فى نفاد صبر وقال :

ـ « معك حق يا صاحبى .. هذا ليس عدلاً .. ليست هذه طريقة للعب .. لكن لتقبل هذا .. إنها ليست لعبة .. أنت تضيع الوقت كله تخمن شخصية (س) وما من أجل هذا طلبتك هنا .. لا تتعب نفسك بهذا لأنى أعرف الإجابة .. لكن سؤالى وما أريد معرفته هو من الضحية التالية ؟ ليس الأمر متعلقًا بلعبة تخمين بل بإنقاذ حياة بشرية »

نظرت له مبهوتًا .

ـ « حقًا .. أعرف هذا لكنى لم أدركه »

- « إذن أدركه الآن .. قل لى إذن .. من الذى سيموت ؟ »

نظرت له فى غباء وقلت :

- « لا أملك أية فكرة »

- « إذن لماذا أنت هنا ؟ »

عدت أفكر فى الأمر وقلت :

- « حتمًا هناك علاقة بين (س) والضحية .. فلو قلت لى من هو (س) .. »

- « ألم تفهم بعد أن هذا جزء من تقنية (س) ؟ يجب أن تتوارى أية علاقة له بالقتيل .. لن نجد أية علاقة . أؤكد لك هذا »

- « وماذا يؤكد لك أن القتيل سيكون من القاطنين بهذا البيت ؟ »

قال فى نفاد صبر :

- « رباه .. لو أن كل المراسلين الحربيين توافدوا على بقعة ما فى أوروبا .. فما معنى هذا ؟ معناه الحرب !.لو رأيت نسرًا يحوم فهناك جثة .. لو رأيت الأطباء يتوافدون على بلدة ما فهناك مؤتمر طبى »

فكرت فى كلامه ثم قلت :

- « ليكن .. لكن مراسلاً حربيًا واحدًا لا يعنى الحرب ! »

- « بالطبع .. لكن جريمة قتل واحدة تعنى جريمة قتل .. »

هذا لا يُنكر .. لكن حتى القتل له إجازات .. ربما كان (س) فى ستايلز لمجرد أن يستجم قليلاً ..

قال لى (بوارو) :

- « المشكلة أن عقلك كسول .. هلم .. أنت لست بالغباء الذى تتظاهر به .. لو لاحظت الحالات التى ذكرتها لك لوجدت أنه فى كل مرة كان هناك متهم جاهز .. هناك دافع للجريمة .. هناك من يمكن تفسير الجريمة باتهامه »

هنا فهمت مدى حمقى .. على أن أجد شخصًا تنطبق عليه هذه الشروط ..

قال لى :

- « En fin الآن اذهب وتجسس .. لديك أذنان سليمتان .. لديك ركبتان يمكن أن تنثنيا لتنظر من ثقوب الأبواب »

- « أنا لن أنظر من ثقوب الأبواب »

- « ليكن .. إذن لتظل كنموذج للجنتلمان الإنجليزى ولسوف يقتل أحدهم . شرفك الإنجليزى أهم من الحياة البشرية .. أنا أفهم .. اطلب لى (كيرتيس) الخادم .. لا داعى لاستعمال خلايا مخك الرمادية لأنه من الواضح أنه لا وجود لها .. »

* * *

كنت جالسًا شاردًا فى الحديقة عندما دنت منى مس (كول) وجلست جوارى .. سألتنى عن أفكارى فقلت لها إننى كنت أتأمل د. (فرانكلين) .. لقد بدا لى الرجل تعسًا .. فى الواقع كل الموجودين هنا تعساء بشكل أو بآخر .. كلنا جئنا إلى (ستايلز) بشعور رمادية وقلوب رمادية ..

رحنا نثرثر عن الموجودين .. وفجأة قالت لى :

- « أنا ملوثة .. هل تعرف هذا ؟ »

نظرت لها فى حيرة .. لماذا استعملت هذا التعبير بالذات ؟

قالت :

ـ « أنت لا تعرف اسمى .. »

ـ « بل أعرفه .. »

ـ « (كول) ليس اسمى الحقيقى .. كان هذا اسم أمى .. إن اسمى الحقيقى هو (لتشفيلد) ! »

للحظة لم أستوعب هذا .. بدا لى الاسم مألوفًا بشكل غامض .. ثم تذكرت :

ـ « (ماتيو لتشفيلد) .. »

هزت رأسها وقالت :

ـ « أرى أنك تعرف الموضوع .. كان أبى طاغية ومريضًا .. منعنا من أية حياة طبيعية .. لم يعطنا مليمًا .. كنا سجينات .. ثم .. شقيقتى .. .. شقيقتى .. .. »

ـ « أرجوك لا تستمرى .. أعرف القصة كلها .. إنها مؤلمة لك »

ـ « لكنك لا تعرف .. ليس بوسعك أن تعرف .. (ماجى) .. هذا لا يصدق .. أعرف أنها سلمت نفسها للشرطة وأنها اعترفت .. لكنى لا اصدق هذا ! لم يحدث هذا كما قالت .. ما كانت لتفعل هذا .. ليست (ماجى) .. »

وارتجفت الكلمات على شفتى .. لكنى لم أقلها .. لم يأت الوقت الذى أستطيع فيه أن أقول :

ـ « أنت محقة .. (ماجى) لم تفعلها .. »

* * *

- 9 -

كنا جالسين فى الشرفة حينما قال (نورتون) إنه يشعر بالظمأ ..

قال الكولونيل (لوتريل) فى حماس :

ـ « هل لكم فى كوب من الشراب يا شباب ؟ على حساب المحل »

شكرناه وقبلنا فدخل إلى البيت .. وكان جزء الشرفة الذى جلسنا فيه خارج نافذة غرفة الطعام التى كانت مفتوحة .. سمعنا الكولونيل بالداخل .. فتح الخزانة وصوت فتاحة الزجاجات .. ثم جاء صوت مسز (لوتريل) الحاد العالى :

ـ « ماذا تفعل يا (جورج) ؟! »

انخفض صوته إلى غمغمة .. فقط سمعنا كلمة هنا أو هناك .. ثم جاء صوتها الناقم :

ـ « لن تفعل شيئًا من هذا .. كيف تتصور أن نكسب من هذا المكان إذا دعوت كل شخص للشراب ؟ كل المشروبات

هنا يجب دفع ثمنها .. من دونى سوف تفلس غدًا .. يجب أن أعنى بك كطفل .. ليس لديك عقل على الإطلاق .. هلم ناولنى هذه الزجاجة ! »

من جديد سمعنا غمغمة احتجاج . فعاد صوتها :

ـ « لا أبالى بشىء .. هذه الزجاجة عائدة للخزانة ولسوف أغلق الخزانة بالمفتاح »

ـ « أنت تتمادين يا (ديزى) .. لن أقبل هذا .. »

ـ « لن تقبل ؟ ومن أنت ؟ أحب أن أعرف .. من الذى يدير هذا البيت ؟ »

بعد دقائق خرج لنا الكولونيل .. بدا كأنه شاخ بضعة أعوام فى هذه الدقائق . لم يكن بيننا من لم يشعر بأسى له .. ولم يكن بيننا الآن من لا يرغب فى قتل مسز (لوتريل) . ليس من حق إنسان أن يهين إنسانًا آخر ..

ـ « آسف يا شباب .. يبدو أن الشراب قد نفد »

كنا نشعر بعدم الراحة .. وقد قال (نورتون) على الفور إن الشراب لن يكون مفيدًا قبل العشاء ، ثم اندمج فى

مواضيع لا رابط بينها .. أما (كارنجتون) فراح يحكى قصة ممتعة من أيام الحرب .. قصة عن جندى أخطأ وأطلق الرصاص على أخيه .. كان بحق رجلاً بارعًا ممتع الحديث .. فيما عدا أنه ينسى أحيانًا ويحكى قصصًا قيلت له على أنها حدثت له .. حتى لو كان قائل القصة يجلس جواره ! لكنه بعد قليل غادرنا ليقوم بعمل ما ..

فجأة توتر (لوتريل) .. راح يحدق بعينه فى الأفق بين الأشجار .. ثم مد يده يتحسس بندقيته وغمغم :

- « أرنب يأكل السياج .. لحظة .. إنه فى موضع مناسب .. »

وصوب البندقية وهو جالس وضغط الزناد .. فى هذه اللحظة سمعنا دوى الطلقة ثم صرخة امرأة .. ورأيت الكولونيل يلقى البندقية وقد شحب وجهه .. وقال فى ذعر :

- « (ديزى) !! »

كنت فى هذه اللحظة فى منتصف الطريق إلى مصدر الصرخة ومن خلفى (نورتون) .. هناك كانت مسز (لوتريل) .. كانت راكعة لأنها كانت تعنى بواحدة من

أشجار الفاكهة الصغيرة ، وكان العشب عاليًا حتى بدا لى معقولاً كون الكولونيل لم يرها ولكنه تبين الحركة فقط .. كذلك كان الضوء مخادعًا .. لقد نفذت الطلقة إلى كتفها وكانت تنزف .

نظرت إلى (نورتون) فرأيته يستند إلى شجرة وقد اخضر لونه كأنما موشك على القيء .. قال معتذرًا :

ـ « لا أتحمل الدم .. »

فقلت له بحدة :

ـ « إذن أسرع لتحضر د . (فرانكلين) أو الممرضة »

جاءت الممرضة أولاً فراحت بطريقة عملية تحاول وقف الدم ، ثم جاء الطبيب فأدخلا مسز (لوتريل) فراشها .. وضمدا الجرح .. سألته :

ـ « كيف هى ؟ »

ـ « بخير .. لقد تفادت الرصاصة أى عضو حيوى .. لكن أين الفتى العجوز ؟ أعتقد أنه فى أسوأ حال .. لا بد أنه يحتاج إلى العناية أكثر منها »

وجدنا الكولونيل فى غرفـة الجلوس وقد اكتسى وجهـه باللون الأزرق وبدا تائهًا تمامًا ..

سألنا :

- « (ديزى) .. كيف هى ؟ »

- « بخير يا كولونيل .. »

- « لا أعرف كيف ارتكبت هذا الخطأ .. حسبت أرنبًا يأكل السياج .. هل لى أن أراها ؟ »

- « ليس الآن .. إن الممرضة معها .. »

خرجت إلى الشرفة فوجدت (جوديث) و(ألرتون) عائدين من الخارج يضحكان وكانت تستند برأسها على كتفه .. وعرفت من (جوديث) أنهما التقيا لتوهما خارج البيت .. فهى لم تكن معه منذ البداية .. لكنى برغم هذا شعرت بغضب شديد خاصة بعد الحادث .. .والذى ضايقنى أكثر أن (ألرتـون) بعدما أخبرته بالقصة أخذ الموضوع كنكتة طريفة ..

- « هذا ما تستحقه العجوز المشاكسـة .. أحسب الفتى العجوز فعلها عامدًا »

ـ « لا تعتمد على هذا .. »

وانصرفت مغضبًا لكنى شعرت ببعض الشك فى نفسى .. وصعدت إلى حجرة (بوارو) فقرعت بابه ..

كان قد سمع من الخادم ما حدث .. لكنه كان مشتاقًا للتفاصيل ..

هنا دق الباب من جديد .. كانت هذه هى الممرضة تخبرنى أن مسز (لوتريل) استعادت وعيها وهى تريد أن تطمئن على زوجها .. لكن الممرضة لا تعرف أين هو .. هكذا طلبت الإذن من (بوارو) واتجهت إلى حيث كان الكولونيل يقف شاحبًا كما تركناه .. .

أخذته من ذراعه إلى غرفة زوجته .. كان يلهث بشكل واضح فأدركت أن الصدمة كانت عنيفة كما توقع الدكتور .. دققت الباب ثم دخلنا ..

كانت السيدة تبدو مريضة بحق .. شاحبة هشة مغمضة العينين .. وقد فتحتهما حين رأتنا وقالت بصوت مبحوح :

ـ « (جورج) .. »

تحركت ذراعها الحرة نحوه .. خطا للأمام وأمسك بيدها الهشة .. .رأيت الدمع فى عينيه مع الكثير من الندم .. هنا شعرت بالخجل من كل أفكارنا الشنيعة السابقة .. كان هذا حادثًا بكل تأكيد .. وقد غادرت الغرفة شاعرًا بالكثير من الراحة ..

هنا سمعت صوت جرس العشاء .. لقد نسينا مرور الوقت .. فقط الطاهى ظل مستمرًا فى جدوله الزمنى الثابت ..

لم يحضر الكولونيل العشاء ، لكن الغريب أن مسز (فرانكلين) كانت فى الطابق السفلى جذابة فى ثوب مسائى وردى ، وبدت فى صحة طيبة .. وإن بدا زوجها متعكر المزاج شاردًا ..

بعد العشاء صعدت إلى غرفة (بوارو) من جديد ..

كان الكولونيل هناك جالسًا فى الضوء الخافت الذى بعثه مصباح كهربى صغير . وبدا لى أنه يكلم نفسه أكثر مما يكلم (بوارو) . كان يحكى عن حبه القديم لـ (ديزى) تلك التى تنمرت مع مرور الأعوام .

فلما غادر الغرفة ، حكيت لـ (بوارو) كل شىء كعادتى .. ولاحظت فى دهشة تلك النظرة الغريبة فى عينيه .. بدا لى كأنما هو نوع من التحفظ لا أفهم سببه .. كأنما ينتظر أن أرى بنفسى .. أرى أى شىء بالضبط ؟

ثم خطرت لى فى فراشى فكرة عجيبة .. لو أن مسز (لوتريل) ماتت لصارت هذه حادثة كباقى الحوادث الأخرى .. سوف يعتقد الجميع أنها كانت مقصودة لكن لن يستطيع أحد إثبات ذلك .. سوف يعتبر الموضوع حادثًا بشكل رسمى ..

لكن هذا يعنى كذلك .. يعنى .. يعنى أن الكولونيل لم يصب مسز (لوتريل) وإنما أصابها (س) .. ومعنى هذا .. إنه أمر غير معقول لكنه محتمل .. أو هو غير محتمل لكنه ممكن .. .. معناه أن القاتل انتظر حتى يطلق الكولونيل بندقيته ثم أطلق فى اللحظة ذاتها ليبدو الأمر كأنها طلقة واحدة .. وعندها لن نسمع صوت طلقته إلا كصدى ..

أعتقد أن هذا ما كان (بوارو) ينتظر منى أن أستنتجه ..

* * *

- 10 -

كنت و(بوارو) جالسين فى الشرفة وقد تركتنا مسز (فرانكلين) منذ لحظات .. كانت تتكلم عن زوجها وكيف يغرق نفسه فى العمل من أجل تلك البازلاء .. قالت إنها تتمنى لو ماتت كى لا تعطله عن عمله .. إنها مريضة وتعرف أنها عقبة فى حياته لأنها تعتبر المرض شيئًا مهينًا ..

قلت لـ (بوارو) بعد انصرافها :

- « هذه المرأة اعتادت أن تمثل أدوارًا درامية طيلة الوقت .. فى يوم هى الزوجة المهملة بفتح الميم التى لم يفهمها أحد .. ثم فى يوم هى المرأة المضحية بنفسها التى تمقت أن تكون حملاً على من تحب .. اليوم تلعب دور الزوجة التى تقف خلف زوجها البطل .. المشكلة هى أن كل أدوارها مبالغ فيها نوعًا .. ثم إننى اعتقدت أن هؤلاء الذين يتكلمون عن (إنهاء كل شىء) بصوت البطة المحتضرة لا ينتوون عمل أى شىء »

سألنى (بوارو) :

- « هل تعتقد أنها حمقاء ؟ »

ـ « على الأقل ليست خارقة الذكاء .. »

ـ « هى فقط ليست طرازك »

ـ « وما هو طرازى ؟ »

قال فجأة :

ـ « أغمض عينيك وفمك وانظر ما تأتى به الجنيات لك »

فى هذه اللحظ رأيت الممرضة تركض نحو المكان الذى كانت فيه السيدة لتلتقط قفاز مسز (فرانكلين) وتقول لنا :

ـ « لابد لها من أن تنسى شيئًا ما .. »

الحقيقة أن مسز (فرانكلين) كانت من الطراز المهمل الذى لابد أن ينسى شيئًا فى كل مكان تواجد فيه ، تاركة للآخرين أن يعيدوه لها .. ويبدو أنها كانت تفخر بذلك لأنها كانت تقول : « إن لى عقلاً كالغربال .. »

رحت أراقب الممرضة وهى تبتعد بجسمها الرشيق المتوازن وقلت فى ضيق :

ـ « لابد أنها سئمت هذا العمل .. فهى لا تعنى بمريض حقيقى .. »

هنا قال (بوارو) وهو يغمض عينيه :

- « شعر أسمر محمر »

نظرت له فى غير فهم .. فعلاً كان للممرضة شعر أسمر محمر .. لكنى لم أفهم لماذا اختار هذا التعليق فى هذا الوقت بالذات ..

★ ★ ★

- 11 -

سألنى (بوارو) عصر ذلك اليوم :

ـ « هل هناك ما يضايقك *mon ami* ؟ »

هززت رأسى لأنى شعرت بأنه ليس من حقى أن أضايق (بوارو) بهذه المشكلة الشخصية .. القصة هى أننى قابلت (نورتون) أمس فسألنى بلباقة عن علاقة (جوديث) بـ (ألرتون) .. أدركت أنه يحذرنى من أن تنشأ علاقة ما بينها وذلك المخادع .. لقد كانت هناك فى حياة (ألرتون) قصة مشينة .. قصة عن فتاة واثقة من نفسها .. مستقلة .. استعمل (ألرتون) تقنياته معها ثم تخلى عنها . وتنتهى القصة بالفتاة تنتحر بجرعة زائدة من (الفيرونال) .. والمفزع أن الفتاة كانت شبيهة جدًا بـ (جوديث) .. النوع المثقف المستقل .. الفتيات اللاتى عندما يفقدن قلبهن يفقدنه بيأس قلما تعرفه الفتيات الخفيفات التافهات ..

لم يكن من جدوى من مصارحة (بوارو) فلسوف تتلقى (جوديث) نصائحه كما تتلقى نصائح الكبار المزعجة ..

كانت أيامى التالية فى (ستايلز) صعبة .. يجب أن ألقى ببعض اللوم على القصر ذاته ، لأن شبحًا ما يخيم عليه .. ليس فقط من الماضى بل الحاضر كذلك .. شبح القتل يجثم فوقه طيلة الوقت ..

خير من فكرت فيه كان (ألرتون) .. ومن الواضح أن (جوديث) تحبه هو بالذات !

زاد همومى أن (كارنجتون) انفرد بى بعد الغداء وقال :

ـ « أعرف أن هذا يبدو تدخلاً .. لكن أقترح أن تقول كلمة أو كلمتين لابنتك عن هذا المدعو (ألرتون) .. إن سمعته سيئة جدًا .. ويبدو لى أنها تميل إليه »

لكم يبدو الأمر سهلاً لهؤلاء القوم الذين لا أطفال لهم .. أنصحها ! لو كانت زوجتى هنا لعرفت ما يجب أن يقال وما يجب عمله ..

راق لى أن أتجاهل الأمر ثم أدركت أن هذا جبن .. كيف أخشى ابنتى الصغيرة فارعة الطول ؟

اتجهت إلى بيت الورود فى الحديقة .. وهناك أدركت أن القرار خرج من يدى لأن (جوديث) كانت هناك وحدها ..

لم أر قط تعبيرًا يدل على التعاسة على وجهها كالذى رأيته الآن .. لقد زال قناع الثقة فلم يبق إلا الضعف واضحًا ..

لم تشعر بى إلى أن صرت بجوارها .. .. فقلت :

ـ « بالله عليك يا (جوديث) لا تتضايقى كثيرًا »

استدارت لى وقالت :

ـ « أبى ؟ لم أسمعك قادمًا .. »

أدركت أنه من الخطر الجسيم أن تعود بى للمحادثات العادية اليومية ، فقلت :

ـ « يا صغيرتى لا تتوقعى أننى أعمى البصر .. هو لا يستحق هذا صدقينى .. »

نظرت لى فى برود وقالت :

ـ « هل حقًا تعتقد أنك تعرف ما تتكلم عنه ؟ »

ـ « أعرف .. أنت تحبين هذا الرجل لكن هذا سيئ جدًا .. ما جدوى هذه العلاقة ؟ إنه رجل متزوج .. ولن يبقى من هذه العلاقة إلا الفشل وكراهية النفس »

ابتسمت وقالت :

- « ما أبلغ ما تقول ! ألا ترى هذا ؟ إنه يستحق كل شيء فى العالم بالنسبة لى »

- « أرجوك ألا تقولى هذا .. »

قالت فى تنمر :

- « هذه حياتى .. حياتى الخاصة .. وإننى لأطالبك بألا تتدخل فيها .. »

ونهضت وبحزم دفعتنى جانبًا لتمر .. كأنها جنية منتقمة ..

* * *

- 12 -

ظللت جالسًا هناك تائهًا معدوم الحيلة لمدة ربع ساعة .. كنت هناك حينما جاءت (إليزابث كول) و(نورتون) ووجدانى .. فيما بعد أدركت أنهما كانا كريمين معى .. لقد أدركا أننى لست فى حالتى الطبيعية لكنهما تجنبا الإشارة لذلك بكياسة .. وكانا يحبان الطبيعة لذا أخذانى معهما وأرتنى (إليزابث) أزهارًا برية بينما راح هو يشرح لى أنواع الطيور .. .

كنت أعرف أن الرجال الذين يراقبون الطيور يرون كذلك الكثير من الأشياء .. وأدركت أن (نورتون) رأى شيئًا ما .. شيئًا يتعلق بـ (جوديث) و(ألرتون) وهو يحرص على ألا أعرفه ..

حاولت الكلام مع (جوديث) أكثر من مرة .. حكيت لها تاريخ (ألرتون) المشين لكنها كانت تقول دائمًا :

ـ « أنا لم أتوقع أنه ملاك قط .. اسمع يا أبى .. هذه حياتى ولسوف أفعل ما أريد بها ولن تستطيع أن تمنعنى .. »

كانت مفتونة .. وكنت أنا فى أتعس حالاتى على الإطلاق ..

هكذا بدأ تصميمى ينمو .. .

كل ما احتاج إليه هو الشجاعة .. الشجاعة والعقل ..

بعد العشاء رايت (جوديث) تتجه لركن الحديقة ، ثم اتجه (ألرتون) فى الاتجاه ذاته .. هكذا أنهيت ما كنت أقوله واتجهت إلى هناك .

شعر (نورتون) بنيتى فجذب ذراعى وقال :

- « اسمع .. ليس هذا بوسعك .. »

- « أستطيع وسأفعل ! »

- « لا يا صاحبى .. أما وقد بلغ الأمر هذا فلا يوجد ما تعمله .. أعرف أنك توشك على الجنون لكن عليك أن تقبل الهزيمة .. »

لم أعارضه لكننى كنت أعرف ما هو أفضل .. ودنوت من الركن الذى تواريا خلفه هنا سمعت صوت (ألرتون) يقول :

- « لقد استقررنا على هذه النقطة يا فتاتى العزيزة .. سوف تقصدين المدينة الليلة وأنا سأقول إننى ذاهب إلى (أبسويش) للبقاء مع صديق .. سوف تبرقين من لندن

قائلة إنك لن تقدرى على العودة .. من سيخمن أنك تتناولين ذلك العشاء الساحر فى شقتى ؟ لن تندمى »

جذب (نورتون) كمى لنبتعد فاستدرت .. وضحكت لدى رؤية وجهه القلق .. تظاهرت بأننى استسلمت .. لكنى فى الحقيقة كنت قد اتخذت قرارى .. قلت له :

ـ « لا تقلق .. لقد انتهى الأمر وفهمت أننى لا أستطيع السيطرة على حياة أبنائى »

بدت عليه الراحة .. ولم ينتابه أى شك بصدد ما أنتويه ..

★ ★ ★

من حسن حظى أننى عملت مع (بوارو) كل هذه الأعوام .. هكذا كنت أعرف بالضبط ما يجب عمله .. لن يقابل (ألرتون) (جوديث) فى لندن غدًا .. لن يذهب (ألرتون) لأى مكان غدًا .. الأمر بسيط إلى درجة السخف ..

ذهبت لحجرتى وأخذت زجاجة الأسبيرين .. ثم اتجهت لغرفة (ألرتون) إلى الحمام .. كانت أقراص (السلامبيريل) فى الخزانة .. ثمانية سوف تقوم بالخدعة .. إن قرصين هما الجرعة المقررة .. هو نفسه قال إن الجرعة السامة ليست عالية .. وابتسمت لنفسى ..

لففت منديلاً ورقيًا على يدى وفتحت الزجاجة .. ثم أفرغت الأقراص .. إن لها ذات حجم الأسبيرين . ووضعت ثمانية أقراص أسبيرين فى الزجاجة ثم ملأتها بالسلومبيريل حتى بدت كما كانت من قبل ..

عدت لغرفتى وأعددت بعض الشراب .. لن يرفض (ألرتون) أن يشرب كأسًا .. جربت أن أذيب الأقراص فى الشراب فذابت .. صحيح أن لها طعمًا مرًا بسيطًا ، لكنى أعددت خطتى على أساس أن أبدأ بصب كأس لى عندما يدخل (ألرتون) .. من ثم أناوله الكأس الذى فى يدى وأصب لنفسى واحدًا آخر ..

الآن على أن انتظر .. سوف أحتاج لساعة أو ساعتين قبل أن يعود لأنه يتأخر كثيرًا .

هنا دق الباب فأجفلت .. كان هذا خادم (بوارو) يخبرنى أن الأخير يسأل عنى .. (بوارو) ! لقد نسيته تمامًا !

هكذا اتجهت لغرفته .. فصاح لدى رؤيتى :

- « *Eh bien* .. إذن تخليت عنى .. »

اعتذرت له فى خجل وقلت إن تغير الطقس هو السبب .. كان مصرًا على علاجى وأرغمنى على شرب كوب كامل من الشيكولاته الساخنة الدسمة المحلاة بالسكر ..

ـ « هذا يساعد الأعصاب كما تعلم ! »

شربت كى لا أفرط فى الجدل ثم عدت إلى غرفتى وأبقيت الباب مواربًا .. سوف أشعر بقدوم الرجل بالتأكيد .. رحت أزجى الوقت بالكتابة وأنا أفكر فى زوجتى :

ـ « أنا مضطر لهذا يا حبيبتى .. يجب أن أنقذها .. »

لقد تركت (جوديث) فى حمايتى ..

وهكذا جلست أنتظر .. .. ..

★ ★ ★

- 13 -

ثمة مشكلة فى كتابة ذروة نقيضة Anticlimax ، خاصة عندما تكون مهينة للمرء . الحقيقة هى أننى جلست هناك أنتظر (ألرتون) فغلبنى النعاس !

هذا ليس غريبًا لأن نومى البارحة كان سيئًا .. وقد أرهقنى القلق والجهد العصبى .. أيًا كان السبب فقد نمت وحينما صحوت كانت الطيور تغرد وكنت أنا هناك منكمشًا على نفسى ، ومذاق كريه فى فمى ..

شعرت بالحيرة والاشمئزاز والقلق .. ثم شعرت بالراحة . من الذى كتب : « عش للغد تجد أن أسود أيامك قد انتهى .. » ؟؟ وما أصدق هذا ! الآن أدرك كم كنت مخطئًا .. ميلودرامية خالية من التعقل .. لقد انتويت قتل إنسان آخر ..

وجدت كأس الشراب أمامى فنهضت وسكبته من النافذة .. كنت أعرف أن (بوارو) يصحو مبكرًا لذا اتجهت إليه وأخبرته بكل شىء .. يجب أن أعترف أن هذا أراحنى كثيرًا ..

قال لى :

ـ « ولماذا لم تأت لى البارحة وتخبرنى بهذا ؟ »

قلت فى خجل :

ـ « حتى لا تحاول منعى »

ـ « بالطبع كنت سأمنعك .. هل ترانى أرغب فى رؤيتك مشنوقًا من أجل وغد مثل ميجور (ألرتون) ؟ »

ـ « ما كان ليقبض على .. لقد مسحت كل البصمات عن الزجاجة »

ـ « هذا ما يعتقده كل القتلة .. على الأقل كانت عندك عقليتهم . لكن دعنى أخبرك يا صديقى أن خطتك لم تكن بهذا الإحكام .. لقد مسحت بصماتك وبصماته معًا .. كانوا سيفحصون زجاجة الدواء بحثًا عن البصمات .. لو كان الميجور ابتلع الأقراص انتحارًا أو على سبيل الخطأ فلماذا مسح بصماته هو نفسه عن الزجاجة ؟ من ثم يحللون الزجاجة ويجدون أقراص الأسبرين .. هنا يعرفون أن هناك من تشاجر مع ابنته

بسبب علاقتها بـ (ألرتون) .. سوف يشهد (نورتون) و(كارلنجتون) بذلك .. هنا تكون أنت قد وصلت ذروة تحملك العصبى .. وربما الشعور بتأنيب الضمير كذلك .. ويظهر مفتش شرطة عنيد صلب .. دعك من أن يكون أحدهم رآك من الشرفة أو من ثقب الباب وأنت تستبدل الأقراص »

قلت :

- « على كل حال لم يحدث شىء .. لا تنكر أن جو هذا البيت موبوء .. إنه يوحى بالقتل .. »

- « فيروس قتل ؟ ربما .. هذه نظرية مثيرة .. »

- « والآن قل لى ما يجب عمله بصدد (جوديث) و(ألرتون) .. »

- « لا تعمل شيئًا .. .. صدقنى .. هذه هى الطريقة المثلى لتقليل الأضرار .. لا تتصور أنك بارع بما يكفى .. لست قوى الشخصية بما يكفى كى تفرض شخصيتك على هذين .. إن (ألرتون) قد اعتاد الكلام مع الآباء الغاضبين

العاجزين .. وربما يستمتع بهذا كنكتة لطيفة .. (جوديث) لا يمكن تهديدها .. لكن يمكن أن تثق بها .. لو كنت مكانك لوثقت بها .. أنا معجب بها »

نظرت له فى عدم فهم وقلت :

ـ « أنا معجب بها كذلك لكنى أخاف عليها »

ـ « أنا كذلك أخاف عليها .. لكن ليس لذات الأسباب .. إن الوقت يمضى والخطر قادم »

* * *

كنت أعرف مثل (بوارو) أن الخطر قريب .. لكنى شعرت براحة وأنا أسترجع كلماته « لو كنت مكانك لوثقت بها .. » .. وفى هذا اليوم أدركت أن (جوديث) تراجعت عن عزمها الذهاب إلى لندن .. فى الواقع أنا لم أسمعها قط توافق على هذا الاقتراح .. الآن أتذكر هذا ..

كانت مسز (فرانكلين) فى هذا الصباح تواصل محاولاتها المعتادة لجعل نفسها لا تطاق .. طلبت زجاجات من الماء

الساخن وراحت تعلن أنها تعانى آلامًا حـول القلـب .. آلامًـا فى أعصابها .. نظرت للجميع حولـى فوجدت أنـه لا يوجد واحد مهتم بالأمر ..

وقد سألها زوجها عما إذا كانت ترغب فـى أن يفحصهـا طبيب المقاطعة فرفضت هذا ، من ثم مـزج لهـا بعـض المسكنات وعاد إلى مختبره ..

قالت لى الممرضة (فرانكلين) :

ـ « هو يعرف بالطبع أنه لا مشكلة »

سألتها :

ـ « هل تعتقدين أنه لا مشكلة فعلاً ؟ »

ـ « حرارتها ونبضها طبيعيان .. نفس المشاكل التى تحب أن تثيرهـا حـول نفسـها لا أكثر .. تحب أن تـرى الجميـع مشـغولين من أجلهـا .. تـرى زوجهـا منهمكًـا وأنـا أجـرى وراءها .. »

كانت مسز (فرانكلين) من طراز النساء اللاتى يكرههن الخدم والممرضات بالفطرة .. لأنهن سيئات المعاملة . أما مستر (كارنجتون) فكان قلقًا يبدو كالطفل الذى وبخته أمه .. والسبب أن السيدة ذهبت معه أمس لانتقاء بعض الستائر والمفروشات لبيته .. وهو يخشى أن يكون قد أرهقها ..

لكم استعدت تفاصيل هذا اليوم فيما بعد أكثر من مرة .. لكم بحثت عن حادث منسى .. هل كان الجميع طبيعيين أم بدت على بعضهم معالم التوتر ؟

سأحاول أن أذكر لك ما يجب ذكره عن كل شخصية .

بالنسبة لـ (كارنجتون) كان يشعر بالذنب لأنه يشعر بأنه سبب إرهاق مسز (فرانكلين) ، لذا نزل إلى البلدة وابتاع لها بعض الشيكولاته ، وهذه عادت كما هى لأنها لا تطيق الشيكولاته .. هكذا جلس معى و (نورتون) فى غرفة الجلوس ، ورحنا نأكل منها .

(نورتون) كان شارد الذهن ولعدة مرات تقاطع حاجبـاه كأنما يفكر . كان مغرمًا بالشيكولاته وقد أكل منهـا الكثير . وفى الخارج بدأ المطر ينهمر ، فشعرنا براحة .

(بوارو) لحق بنا عند الظهيرة ، وقد راحـت (إليزابث كول) تلعب له البيانو . فى الواحدة ظهرًا عاد (فرانكلين) و(جوديث) من الحديقة مرهقين . قلت على ما أذكر شـيئًا عن المطر الذى سيكسر كآبة الجو .

قال لى :

- « نعم .. لابد من لحظة ما تتكسر فيها الأشياء .. »

وأدركت أنـه لا يتكلم عن الجـو .. وبطريقتـه الخرقـاء ضرب صندوق الشيكولاته فأوقعها على الأرض .. نظر إلـى الصندوق وقال له كأنما يعتذر :

- « أنا آسف »

وفى ظروف أخرى كـان هذا ليكون مضحكًا .. سـأله (نورتون) إن كان نهاره متعبًا فقال :

- « لا .. لا .. فقط اكتشفت أن طريقتى خطأ . هناك طريقة مختصرة سهلة لإنهاء الأمور .. »

وراح يهتز ويردد :

- « طريقة سهلة لإنهاء الأمور »

* * *

برغم أننا كنا عصبيين فى الصباح فقد كان العصر مبهجًا بشكل غير متوقع .. ولحقت بنا مسز (لوتريل) .. كانت فى أفضل حال وقد بدت مشرقة بعيدة عن مواضيع الخل تلك .. كانت تنتقد زوجها لكن بطريقة لطيفة .. وقد سرنى أن أراهما سعيدين هكذا . لقد بدا الكولونيل أصغر وكان يشد شاربه بدرجة اقل ..

لاحظت كذلك أن علاقة روحية ما ولدت بين (نورتون) ومس (كول) .. إنه لم يتزوج قط وهى ما زالت امرأة جميلة بوسعها أن تسعد أى رجل .. تذكرت هنا أنهما قضيا أغلب الوقت معًا يبحثان عن الأزهار النادرة ويراقبان الطيور ..

بالفعل هى تبدو أكثر سعادة ورضا عما كانته وهى تحكى لى عن طفولتها التعسة . وفجأة عاودنى الشعور بالخطر والتوتر من المكان .. لا .. ليس المكان آمنًا .. جو (ستايلز) ذاته خطر .. الآن يعاودنى هذا الشعور وأشعر معه بالتعب والشيخوخة .

جاءت (جوديث) مهمومة الوجه وقالت إن مسز (فرانكلين) تشعر بتحسن وتريد منا أن نصعد لغرفتها ..

★ ★ ★

كانت مسز (فرانكلين) فعلاً كائنًا شديد التقلب .. لقد جعلت حياتنا لا تطاق طيلة اليوم ، والآن صارت العذوبة نفسها . كنا كلنا حولها باستثناء (بوارو) الذى اعتاد أن يستريح قبل العشاء و(ألرتون) الذى كان فى (إبسويتش) والكولونيل وزوجته اللذين بقيا فى الطابق السفلى .. وجلست السيدة تعد لنا القهوة بنفسها .. فوضعت قدحًا بجانبها ثم وضعت قدح زوجها على المكتب . وناولت كلاً منا قدحه .

كانت رائحة القهوة عطرة تعبق الجو .. وجلست أحاول حل الكلمات المتقاطعة فى الجريدة على حين وقفت (جوديث) فى الشرفة ترقب السماء ..

فجأة صاحت :

ـ « ثمة نجم يهوى ! »

هنا هرع الجميع للخارج ليتمنوا أمنية .. لماذا ألحق بهم ؟ ليس لدى ما أتمناه .. فقط كنت أتذكر .. أتذكر ليلة استوائية صافية .. نقيق الضفادع .. نجم هاو .. واستدرت لأرى (سيندرز) ورائى فحملتها بين ذراعى كى ترى النجوم وتتمنى أمنية .. وشعرت أن عينى تترقرقان بالدمع وبأن الكلمات المتقاطعة تهتز .. لذا نهضت إلى المكتب بحثًا عن مجلد لأعمال شكسبير كى لا يرى أحد دموعى ...

شكرنا السيدة على القهوة وغادرنا غرفتها .. فى الطابق السفلى رأيت (نورتون) يصفر فى سعادة فقلت له :

ـ « تبدو راضيًا عن نفسك الليلة »

قال :

- « فعلاً .. لقد فعلت شيئًا لم أفعله وطالما تمنيته »

وحينما ذهبت إلى غرفة (بوارو) وجدته جالسًا مع (جوديث) .. نظر لى وابتسم وقال :

- « لقد صممت (جوديث) على أن تسامحك .. »

بدا لى هذا غريبًا لكنها اتجهت نحوى وطوقتنى بذراعيها وقبلتنى .. وقالت :

- « آسفة يا أبى .. أنا التى يجب ان تطلب السماح .. لقد عرفت الآن ما يجب أن أفعله »

وغادرت الغرفة .. هنا سألنى (بوارو) :

- « ماذا حدث هذا اليوم ؟ »

قلت :

- « لم يحدث أى شىء طيلة اليوم ولا الليل أيضًا »

كانت ملحوظة غير حكيمة . لأنه فى الليلة ذاتها مرضت السيدة (فرانكلين) جدًا واستدعوا لها طبيبين .. وبعد يوم آخر لفظت أنفاسها الأخيرة .

واحتجنا إلى يوم آخر كى نعرف أن موتها تم بوساطة عقار (الفيزوستيجمين) .

★ ★ ★

- 14 -

بدأ التحقيق بعد يومين ، وهى المرة الثانية فى حياتى التى أحضر فيها تحقيقًا فى هذا الموضع من العالم .

كان الطبيب الشرعى رجلاً فى منتصف العمر ذا كفاءة .. له نظرة متنمرة وأسلوب جاف فى الكلام . ظهر أن الموت جاء نتيجة التسمم بعقار (الفيزوستيجمين) وبعض قلويدات بازلاء (كالابار) .

لا بد أن السم تم تناوله فى وقت ما فى الليلة السابقة بين السابعة مساء ومنتصف الليل . لقد كان الشاهد الثانى هو د. (فرانكلين) الذى أوضح أنه فحص المحاليل فى مختبره فوجد زجاجة تحتوى قلويدات بازلاء (كالابار) وقد امتلأت بالماء .. ليس بوسعه تحديد متى حدث هذا ..

قال الرجل إن المختبر كان مغلقًا دائمًا والمفتاح فى جيبه .. مساعدته مس (هاستنجز) معها نسخة أخرى ..

وليس بوسع أحد أن يدخل ما لم يأخذ المفتاح منه أو منها ، قال إنه لم يجلب معه قط أى محلول إلى البيت ، وإنه من المستحيل أن تكون تعاطته بطريق الخطأ .

قال إن زوجته لم تشك قط من مرض عضوى ، لكنها كانت تعانى اكتئابًا وتقلبًا مزاجيًا . إلا أنها كانت فى حال طيبة ليلة الحادث . وقال إن زوجته لم تكن من الطراز الذى ينتحر . هذا رأيه الشخصى والطبى .

بعد هذا تم استجواب الممرضة . وقالت نفس الأشياء تقريبًا .

ـ « متى رأيت مسز (فرانكلين) آخر مرة ؟ »

ـ « فى العاشرة والنصف .. أعددت لها الفراش وشربت بعض اللبن الدافئ ثم طلبت أسبيرين »

ـ « وكيف كانت وقتها ؟ »

فكرت للحظة ثم قالت :

- « كالمعتاد .. لا .. أعتقد أنها كانت فى حالة من الحماس .. يمكن أن يجعلها التفكير فى الانتحار تبدو هكذا .. ربما كانت تشعر كم هى نبيلة بطلة .. إنها كانت تعتبر نفسها عقبة أمام زوجها .. »

- « وهل تعتبرينها شخصًا يمكن أن ينتحر ؟ »

فكرت من جديد ثم قالت :

- « نعم ولا .. فى الواقع كانت غير متزنة على الإطلاق .. »

أما شهادة (بوارو) فقد أثارت الاهتمام حقًا ، لأنه قال إن السيدة (فرانكلين) كانت مكتئبة فى أيامها الأخيرة ، وكانت تتحدث طيلة الوقت عن حاجتها (إلى إنهاء الأمور بيدها) ..

سأله المحقق :

- « هل تعتقد أنها تناولت هذا العقار عمدًا »

- « نعم . »

ـ « هل رأيتها ذات مرة تغادر المختبر ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « هل كان هناك شىء فى يدها ؟ »

ـ « نعم .. كانت تمسك بقارورة صغيرة فى يدها .. »

ـ « وهل أظهرت أى ارتباك لدى رؤيتك ؟ »

ـ « نعم .. بهتت لرؤيتى وهذا كل شىء »

بعد شهادة (بوارو) ـ وهو رجل لكلماته ثقل كبير اقتنع المحقق بأن الفقيدة كانت تعانى نوبات من الاكتئاب وكانت تؤمن بأنها مريضة وأنها عقبة فى طريق زوجها .. كونها أخذت القارورة من المختبر لدليل على نيتها تدمير نفسها .. صحيح أن القارورة التى أخذت السم فيها لم تظهر قط ، لكن من الممكن أن السيدة أخذتها من خزانة الحمام ثم أعادتها هناك بعد غسلها ، هكذا تم اتخاذ القرار بأن السيدة بخعت نفسها إثر مرورها بحالة عقلية غير مستقرة .

* * *

بعد نصف ساعة كنت فى غرفة (بوارو) .. كان شديد الإرهاق وقد وضعه الخادم فى الفراش .. فما أن انصرف الأخير حتى انفجرت :

- « هل كان هذا صحيحًا يا (بوارو) ؟ إنك رأيت مسز (فرانكلين) تغادر المختبر وقارورة فى يدها ؟ »

شاعت على شفتيه بسمة خفيفة وقال :

- « ألم تلحظ هذا ؟ »

- « نعم .. لا يمكن أن أقسم على شىء كهذا .. وليس بوسعى أن أثبت العكس .. والسؤال هنا هو : هل تتكلم الحق ؟ »

- « إذن تفترض أننى أكذب يا صديقى ؟ أين ذهب إيمانك الأسطورى بى ؟ »

قلت فى تردد :

- « حسن .. لا أعتقد أنك يمكن أن ترتكب الحنث بالقسم .. »

قال ببساطة :

ـ « ليس حنثًا .. فأنا لم أؤد اليمين للمحكمة .. »

ـ « إذن هى كذبة »

لوح بيده وقال :

ـ « ما قد قيل قيل يا صاحبى .. فلا داعى للتكرار »

ـ « لكنى لا أصدق .. ولا أفهم .. أنت تعرف أنها كانت تتكلم عن إنهاء حياتها لكن هذا كان واحدًا من أمزجتها المتقلبة .. أنت لم توضح هذا للمحقق »

ـ « ربما لم أرد هذا .. »

ـ « أردت أن يعتبروا القضية انتحارًا ؟ »

ـ « بالطبع أردت هذا .. »

ـ « وأنت لا ترى أنها انتحار ؟ »

ـ « نعم يا (هاستنجز) .. أعتقد أنها قتلت .. »

- « إذن لماذا تجعلهم يغلقون القضية ؟ »

- « هذا ما أريده بالضبط .. خذ كلمتى أن هذه جريمة قتل عمد .. هكذا أغلقت القضية لكنى أنا وأنت سنجرى تحرياتنا تحت الأرض كالخلدان .. وسريعًا ما نلقى القبض على السيد (س) »

- « وماذا لو قتل واحد آخر فى هذه الأثناء ؟ »

هز رأسه وقال :

- « لا أعتقد هذا .. ما لم يكن أحدهم قد رأى شيئًا أو عرف شيئًا »

* * *

- 15 -

تختلط الأمور على بصدد الأحداث التى وقعت فى الأيام التى تلت التحقيق . كانت هناك طبعًا الجنازة التى حضرها الكثير من الفضوليين .. وبعدها فوجئت بالخادم (كيرتس) يقول لى إنه يعتقد أن (بوارو) مصاب بما يشبه نوبة قلبية ..

جريت إلى حيث كان (بوارو) الذى أنكر هذا الاحتمال بشدة .. وقد اندهشت لهذا .. كان كما عرفته شديد القلق على صحته .. يلف ملفحة حول عنقه ويتجنب تيارات الهواء ، ولا يحب أن تبتل قدماه . « حتى لا أصاب بـ fluxion de poitrine (التهاب رئوى) » كما اعتاد أن يقول .. أما الآن وهو مريض فعلاً فهو يرفض استشارة طبيب .. ولعل هذا هو السبب فعلاً .. إنه خائف من الاعتراف بخطورة حالته ..

- « الآلة mon ami قد استهلكت نفسها .. لقد طلبت رأى أطباء كثيرين فلا منفعة من رأى آخر .. وليس بوسع المرء أن يركب محركًا جديدًا مثل السيارات »

شعرت بغصة أليمة فى قلبى .. فابتسم وقال :

- « هذه قضيتى الأخيرة يا (هاستنجز) .. لكنها أفضلها كذلك لأن تقنية (س) هذا عالية فعلاً .. إنه جدير بالاحترام لأنه استطاع حتى اللحظة أن يهزمنى أنا (هيركيول بوارو) .. »

قلت له :

- « فقط لو كانت صحتك أفضل .. »

كانت هذه هى العبارة الخطأ لأنه انفجر غاضبًا :

- « للمرة الألف أقول لك إن الأمر لا يحتاج لقوة جسدية .. كل ما على هو أن أفكر .. عقلى يعمل بذات الكفاءة »

إلا أننى إذ عدت لغرفتى كنت أفكر فى أن عقله لم يعد بذات السرعة .. لقد كادت مسز (لوتريل) تموت وماتت مسز (فرانكلين) فعلاً .. وماذا نفعله نحن ؟ لا شىء ..

* * *

كان الغريب أن (بوارو) فى اليوم التالى وافق على أن يراه طبيب .. واقترح د. (فرانكلين) ! بدا لى هذا غريبًا .. صحيح

أنه طبيب لكنى أعتقد أنـه أقرب إلى البحث العلمى .. ثم إننى كنت أشعر بأنــه ليس أفضل من يهتم بالمعاناة البشرية .. ربما كان هذا مفيدًا للبحث العلمى لكنه لا يناسب المرضى .

وافق د. (فرانكلين) على أن يفحص (بوارو) لكنه أنذرنا منذ البداية بأنه قد يحتاج لمشورة ممارس عام .. هكذا انتظرت حتى فرغ من فحصه واقتدته إلى غرفة جانبية وأغلقت الباب وسألته بلهفة :

ـ « إذن ؟ »

قال مفكرًا :

ـ « إنه رجل متميز فعلاً »

ـ « هذا لا شك فيه لكنى أتكلم عن صحته .. »

ـ « صحته ؟ »

وبدا مندهشًا .. كأن الأمر لم يخطر له ببال .. ثم قال :

ـ « صحته ؟ صحته (معفنة) طبعًا ! »

لم تكن هذه طريقة احترافية على الإطلاق للتعبير عن رأيه .. وبرغم هذا كانت (جوديث) تؤكد أنه طبيب مرموق .. قال لى :

- « هل تريد أن تعرف حقًا ؟ إن أكثر الناس لا يريدون أن يعرفوا .. يريدون أن تصف لهم شرابًا وبعض الطمأنينة .. وكثيرًا ما يشفون لكن ليس فى حالة (بوارو) .. »

شعرت بتلك اليد تعتصر قلبى بينما أردف :

- « نعم .. إن صديقك فى طريقه للموت .. وبسرعة جدًا .. وما كنت لأخبرك لولا أنه طلب ذلك .. »

- « إذن هو يعرف »

- « يعرف تمامًا .. لكنه فقط يتمنى أن تتأخر النهاية بعض الوقت حتى ينهى أمرًا يريد الفراغ منه .. هل تعرف ما هو ؟ »

- « نعم .. »

ونظرت له متسائلاً إن كان يعرف ما نحن بصدده ..

- « هل يوجد ما يمكن عمله ؟ »

- « لا شىء .. هناك معه أمبولات من الأميل نيترات لو شعر بأن النوبة قادمة .. إنــه يحمـل الكثير مـن الاحـترام للحيـاة البشرية .. أليس كذلك ؟ »

بدت لى الملحوظة غريبة لكنها صحيحة . فهززت رأسى موافقًا .. أضاف د. (فرانكلين) :

- « فى هذا أختلف معه .. فأنا لا أحمل هذا الاحترام ! »

نظرت له مندهشًا فابتسم وقال :

- « هذا حق .. ما دام الموت قادمًا لا محالة فما الفـارق بين أن يأتى عاجلاً أم آجلاً؟ »

- « إذن لماذا بحق السماء صرت طبيبًا ؟ »

- « يا عزيزى .. (الدكترة) لا تتعلق فقط بتفادى النهايـة .. بل تتعلق بتحسين الحياة .. موت قدم(*) ليس خسارة بـل هو شىء طيب .. لكن لـو تمكنت من تنشيط غـدة معينـة مثـل الدرقية تحيل القدم إلى شخص سليم فهذا مهم جدًا »

(*) القدم Cretin هو الشخص الذى يعانى نقص إفراز الغدة الدرقية منذ مولده .. عامة نستعمل فى العربيـة بمعنى (معتوه) .. كما فى بيت الشعر الشـهير (صفـة الطلول بلاغة القدم) .. ومعنـاه (وصـف الأطلال فـى الشعر عمل جدير بالمعتوهين) !

احترمت صراحة الرجل ، وإن لم أتخل عن قناعتى بأنه ليس د. (فرانكلين) من سأستدعيه عندما أصاب بالإنفلونزا .
قال لى فى ثقة وقد بدا مفعمًا بالثقة والرجولة :

ـ « لقد اتصلت بى الوزارة .. هل تعرف ؟ ما زالت تلك الوظيفة شاغرة .. فى إفريقيا .. سوف أسافر فورًا لاستكمال أبحاثى ! »

صحت فى عدم تصديق :

ـ « بهذه السرعة ؟ »

ـ « ما الذى تجده سريعًا ؟ تقصد بعد عشرة أيام من وفاتها .. ؟ .. لماذا أدعى شيئًا ؟ لماذا لا أعترف بأن موتها حررنى من قيودى ؟ كنت أهيم بها حبًا عندما قابلتها لأنها كانت فتاة بارعة الجمال .. وخلال عام كنت قد فقدت حبى لها .. لابد أننى خيبت أملها فأنا مخلوق أنانى فظ .. كانت تتوقع منى حبًا أكثر .. أما الآن فقد تحسن حظى .. »

صدمنى هذا .. أعرف طبعًا أن كثيرًا من الرجال الذين ماتت زوجاتهم ليسوا محطمى القلوب .. لكن اعترافه هذا كان وقحًا ..

سألته :

ـ « ألا تؤثر فيك فكرة أنها انتحرت ؟ »

ـ « لا أعتقد أنها انتحرت .. لكن لو أردت رأيى فالموضوع لا يهمنى على الإطلاق .. هل تفهم ؟ »

لم أفهم .. ولم أحب ما قال على الإطلاق ..

★ ★ ★

- 16 -

يجب أن أوضح أننى لم أتصور لحظة أن (بوارو) قد يفشل فى مواجهته مع (س) .. لقد اعتدت نجاحه .. لكن (بوارو) ذاته هو الذى بذر الشك فى نفسى هذه المرة ..

كنت قد اتجهت لغرفته قبل العشاء ، ولا أعرف كيف جاء الموضوع ، لكنى أذكر عبارته : « لو أن شيئًا حدث لى .. »

هكذا احتججت بصوت عال .. لن يحدث شىء .. لا يمكن أنه يحدث شىء ..

قال :

- « إذن أنت لم تصغ جيدًا لما قال د . (فرانكلين) .. لكننا لا نعرف يقينا .. حتى إذا مت حالاً فلن يكون هذا سريعًا بما يناسب مستر (س) .. »

لم أفهم فقلت :

- « هه ؟ »

- « إن مستر (س) شديد الذكاء .. وقد يقرر أن يتخلص منى حتى إذا كان يتوقع أن هذا لن يقدم نهايتى إلا بضعة أيام .. »

قلت فى حيرة :

ـ « ولكن .. »

ـ « عندما يسقط الكولونيل يا صاحبى تتولى القيادة أعلى رتبة من بعده »

ـ « وكيف ؟ إننى فى الظلام تمامًا »

ـ « لقد رتبت هذا .. »

ودق بيده على حقيبة بجواره وقال :

ـ « سوف تجد كل الأدلة التى تريدها هنا .. »

ـ « لا تتظاهر بالبراعة .. لم لا تقول لى ما يجب أن أعرفه ؟ »

ـ « لا يا صديقى .. إن حقيقة أنك لا تعرف ما أعرفه تساعدنى كثيرًا .. ثم إننى لم أكتب لك معلومات واضحة حتى لا تقع فى يد (س) وإنما تركت ملاحظات لن يستخلص منها شيئًا .. »

ـ « أنا لا أفهم سبب التفاف أفكارك بهذا الشكل يا (بوارو) .. تحب أن تجعل كل شىء عسيرًا »

قال بلهجة أخشاها :

ـ « سوف تعرف الحقيقة وعندها لن يسرك هذا .. ولسوف تقول : إجذبوا الستار من فضلكم .. »

كان فى لهجته شىء مقلق .. نذير بشىء سوف يحدث لا محالة .. شىء لا أحب معرفته ، ولكن برغم هذا أنا أعرفه جيدًا فى أعماقى ..

تخلصت من هذا الشعور واتجهت إلى العشاء ..



- 17 -

كان العشاء ذا جـو بهيـج نوعًا .. لقد انضمت لنا مسـز (لوتريـل) ثانيـة وقـد حـاولت جهدهـا أن تصطنـع اللهجـة الإيرلندية .. كـان (فرانكليـن) مرحًـا وللمـرة الأولـى أرى الممرضة فى ثياب عادية ، فبدت لى جذابة جدًا وقد تخلت عـن تحفظهـا المهنـى .. وبعـد العشـاء اقـترحت مسـز (لوتريل) لعب البريدج .

فى التاسعة والنصف أعلن (نورتون) أنه سيصعد ليرى (بوارو) الذى استدعاه لسبب لا أعرفـه .. فقررت أن أصعد معه .. وبعد قليل نزلت .. اتجـه (كـارنجتون) للنـافذة وفتحها فدوى صوت الرعد .. هنـاك عاصفـة قادمـة وإن كـانت لـم تبلغنا بعد ..

صعدت لفراشى فى الحادية وعشرة والربع .. ولم أذهب لـ (بوارو) لأنه نـام علـى الأرجـح . ثم إننـى أردت إبعـاد (ستـايلز) عن ذهنى .. أردت أن أنام وأنام .. ..

كنت على وشك الغياب عن الوعى عندما أوقظنى صوت ما .. ظننت أنها طرقة على الباب .. فناديت :

ـ « أدخل »

لكن لم يرد أحد .. أضأت النور ونهضت .. ألقيت نظرة على الردهة فرأيت (نورتون) قادمًا من الحمام نحو حجرته .. ثم سمعته يدير المفتاح فى الباب ..

لماذا أغلق الباب ؟ هل هذه عادته ؟ هل طلب منه (بوارو) هذا ؟ وتذكرت كيف أن مفتاح باب غرفة (بوارو) اختفى منذ أيام ..

رقدت فى الفراش شاعرًا بالتوتر الذى زادت منه العاصفة .. فى النهاية نهضت وأغلقت باب غرفتى .. ثم عدت للفراش ونمت ..

★ ★ ★

قبل الإفطار اتجهت لغرفة (بوارو) .. كان راقدًا فى الفراش وأثار ذعرى مدى السقم الذى بدا عليه . سألته :

ـ « كيف حالك أيها الصبى العجوز ؟ »

ابتسم فى إرهاق وقال :

ـ « ما زلت موجودًا يا صاحبى .. ما زلت موجودًا »

ـ « وماذا عن ليلة أمس ؟ هل قال لك (نورتون) شيئًا مهمًا ؟ »

نظر لى طويلاً مفكرًا ثم أجاب :

ـ « لست متأكدًا يا (هاستنجز) إن كان يجب أن أخبرك .. ربما تسىء فهمى .. لقد رأى الرجل اثنين معًا وهو يراقب الطيور »

قلت بسرعة :

ـ « (جوديث) و(ألرتون) .. »

ـ « لا .. ليس (جوديث) و(ألرتون) .. ألم أقل لك إنك ستسىء فهمى ؟ أنت رجل أحادى الفكر »

ـ « آسف .. إذن قل لى .. »

- « سوف أخبرك غدًا .. هناك الكثير مما يجب أن أفكر فيه »

- « هل هو مفيد ؟ »

- « لقد انتهت القضية يا صاحبى .. فعلاً انتهت .. لكن هناك بعض الأجزاء يجب تجميعها .. اذهب للإفطار وأرسل لى (كيرتس) الخادم .. »

فعلت كما طلب ورحت أبحث عن (نورتون) .. كنت أموت فضولاً لمعرفة ما قاله لـ (بوارو) .. لكنى كذلك كنت غير سعيد .. إن افتقار كلمات (بوارو) للرضا أقلقتنى ..

لم يصر على السرية ؟ لم هو حزين لهذا الحد ؟

لم يكن (نورتون) على مائدة الإفطار ؛ لذا خرجت إلى الحديقة .. كان الهواء عليلاً بعد العاصفة .. ولاحظت أن المطر كان عنيفًا أمس .. كان (كارنجتون) فى الحديقة فشعرت برغبة ملحة لأن أصارحه بأسرارى .. إن

(بوارو) كما هو واضح أضعف من أن يتولى القضية بينما هذا الرجل موح بالثقة والدفء والقوة ..

تثاءب وقال :

ـ « أين (نورتون) ؟ »

ـ « لا أحسبه صحا من النوم بعد .. هذا الشيطان الكسول .. »

ـ « هل تحسبهم قد نسوا أن ينادوه ؟ »

ـ « لنصعد ونر .. »

ودخلنا .. كانت الخادمة وهى فتاة يبدو عليها الغباء تقف فى الممر . قالت لنا إن مستر (نورتون) لم يرد عندما دقت بابه كان بابه موصدًا وشعرت بتوجس كريه ..

دققت الباب بعنف مناديًا :

ـ « (نورتون) . (نورتون) .. استيقظ ! »

★ ★ ★

حينما أدركنا أنه لن يرد أحد ، بحثنا عن الكولونيل .. أصغى لنا والقلق فى عينيه الرماديتين وراح يجذب شاربه .. لكن زوجته التى اعتادت اتخاذ القرارات الحاسمة قالت :

ـ « يجب أن تفتح هذا الباب بأية طريقة »

وللمرة الثانية فى حياتى شهدت بابًا يتحطم فى (ستايلز) .. وخلف الباب كان ما وجدته فى المرة الأولى : عنف أفضى إلى الموت ..

كان (نورتون) فى الفراش بثياب النوم .. وفى يده كان مسدس صغير .. مجرد لعبة .. لكنها قادرة على القيام بعملها . وكان ثمة ثقب فى منتصف جبهته . وللحظة بدا لى هذا مألوفًا .. يذكرنى بشىء قديم جدًا .. لكننى كنت أكثر تعبًا من أن أتذكر ..

* * *

ما إن وصلت إلى غرفة (بوارو) ورأى وجهى حتى تساءل :

ـ « ماذا حدث ؟ »

ـ « (نورتون) مات ! »

وحكيت له القصة ثم قلت فى إنهاك :

ـ « يقولون إنه انتحار .. ماذا يمكنهم قوله ؟ الباب كان موصدًا من الداخل والنوافذ مغلقة .. والمفتاح كان فى جيبه .. دعك من أننى رأيته أمس يدخل حجرته ويغلق الباب »

ـ « هل أنت متأكد من أنه هو ؟ »

ـ « كان المكان مظلمًا لكنى تبينت منامته المضحكة وشعره المميز السخيف »

ـ « لكنك لم تكن تفتش عن منامة بل عن إنسان يا صاحبى .. دعك من أن أى إنسان يستطيع أن يجعل شعره مثله .. »

نظرت له فى دهشة :

ـ « هل تقترح أنه لم يكن (نورتون) ؟ »

ـ « لم أقترح أى شىء يا صاحبى .. فقط تضايقت من تفسيرك غير العلمى .. لكن لا أظن هذا ممكنًا لأن كل الرجال هنا فارعو الطول .. لا يمكنك أن تزيف الطول .. »

ـ « لكنك لا تصدق أنه أطلق الرصاص على نفسه ؟ »

ـ « لا .. أنا متأكد من أنه قتل .. »

ونزلت فى الدرج حائرًا مشتتًا .. (نورتون) قتل .. والغرض هو جعله لا يتكلم .. لكنه أخبر شخصًا آخر بما يعرفه .. لهذا فالآخر فى خطر كذلك .. وهو كذلك بلا حيلة عاجز ..

كان على أن أتنبأ بهذا ..

لقد قال لي(بوارو) : « Cher ami! » وأنا أغادر الغرفة ..

كانت هذه آخر كلمات أسمعها منه ..

لأنه حينما عاد (كورتيس) لسيده .. كان سيده قد مات ..

★ ★ ★

- 18 -

لقد مات (بوارو) ومعه مات جزء مهم من (آرثر هاستنجز) .. سأعطيك الحقائق العارية بلا بهرج .

يقولون إنه مات لأسباب طبيعية . أى أنه مات بنوبة قلبية . ولسبب ما يبدو أن أمبولات الأميل نتريت لم تكن جوار فراشه .. هل كان هذا سهوًا ؟ أم هناك من أخفاها عمدًا ؟

أرفض أن أصدق أنه مات بشكل طبيعى .. لقد قتل و(نورتون) قتل ومسز (فرانكلين) قتلت .. التحقيق فى مصرع (نورتون) اعتبر انتحارًا برغم أن الطبيب قال إنه من الغريب أن يطلق إنسان الرصاص على منتصف جبهته هذا هو الشك الوحيد ، فيما عدا هذا كان (نورتون) يعانى صداعًا مزمنًا .. وكان قد خسر بعض المال فى الاستثمار مؤخرًا ..

لقد فاز (س) فى مبارزته مع (بوارو) .. وهكذا اتجهت لغرفة (بوارو) واخذت الحقيبة التى تركها لى وعدت إلى غرفتى .. هنا أصابتنى صدمة .. إن ملفات

قضية (س) قد اختفت . فإما أن (بوارو) تخلص من هذه الأوراق (وهذا مستبعد) وإما ان (س) فعلها .

كانت فى الحقيبة أشياء أخرى .. نسخة من مسرحية شكسبير (عطيل) .. الطبعة الرخيصة .. وكانت هناك مسرحية (جون فرجوسون) بقلم (جون إرفين) .. وكانت هناك علامة على الفصل الثالث . إذن هنا الأدلة التى تركها لى (بوارو) ولا أجد لها أى معنى . لا توجد علامات أو شفرة سرية .. قرأت الفصل الثالث من المسرحية حيث المشهد المؤثر إذ يجلس (كلوتى جون) وينتهى بخروج الشاب (فرجسون) بحثًا عن الرجل الذى أساء لأخته . مشهد عظيم لكن لا أعتقد أن (بوارو) تركه لى كى أحسن ذائقتى الأدبية!

فجأة سقطت قصاصة ورق من المسرحية فوجدت عليها عبارة بخط (بوارو) : « تكلم مع خادمى (جورج) .. »

هذا قد يكون ذا شأن .. يجب أن أبحث عن (جورج) خادم (بوارو) السابق .. لكن أولاً يجب أن أفرغ من الواجب المحزن نحو صديقى .. لقد كانت هنا أول بقعة وطأها على أرض إنجلترا ، وهنا يجب أن يدفن .

كانت (جوديث) كريمة معى للغاية فى تلك الآونة ، وقد ساعدتنى فى كل الترتيبات .

أما عن (إليزابث كول) فلم أشعر انها متأثرة لهذا الحد بوفاة (نورتون) ..

★ ★ ★

نعم يجب أن أقول هذا .. لقد انتهت الجنازة . كنت جالسًا مع (جوديث) أحاول أن أرسم خططًا للمستقبل ، عندما قالت :

ـ « لكن يا عزيزى .. أنا لن أكون هنا .. »

ـ « هنا ؟ »

ـ « لن أكون فى إنجلترا .. لم أرد أن أجعل الأمور أصعب بالنسبة لك ، لكن يجب أن تعرف الآن .. أنا ذاهبة إلى إفريقيا مع د. (فرانكلين) »

هنا انفجرت فيها .. هذا ليس بوسعها .. سوف يكثر القيل والقال .. أن تكون مساعدته فى إنجلترا وزوجته حية شىء ، وأن تسافر معه إلى إفريقيا شىء آخر . هذا مستحيل ولسوف أمنعه .

ظلت تسمعنى بعض الوقت ثم قالت باسمة :

ـ « لكن يا عزيزى أنا لست ذاهب كمساعدة له .. أنا ذاهبة كزوجته ! »

شعرت كأننى تلقيت لطمة ، وقلت :

ـ « ولكن (ألرتون) .. »

بدا عليها أنها تتسلى بهذا وقالت :

ـ « لا شىء من هذا .. فقط أردت أن أتركك تفكر كما يحلو لك »

(جوديث) و (فرانكلين) .. (فرانكلين) و (جوديث) .. هل تفهم ما كان يدور فى ذهنى وقتها ؟

(جوديث) بزجاجة فى يدها .. (جوديث) تقول ببرود إن الحيوات غير ذات القيمة يجب أن تفسح الطريق للحيوات الأهم .. (جوديث) التى أحببتها .. لا .. ليس (جوديث) .. ممكن أن يكون (فرانكلين) .. فهو رجل غريب الأطوار قاس .. لو قرر أن يقتل لفعلها ..

(بوارو) أراد أن يفحصه (فرانكلين) فلماذا ؟ ماذا قال له في ذلك الصباح ؟ لكن ليس (جوديث) .. ليست (جوديثى) الصغيرة الجادة .. وتذكرت (بوارو) وهو يقول : إجذبوا الستار ..

وهنا خطر لى خاطر آخر ؟ هل تكون القصة كلها بصدد (س) مفبركة ؟ هل لفق (بوارو) كل هذا لأنه أراد أن آتى هنا وأراقب (جوديث) ؟ وقصة (عطيل) .. هل تفسر كل شىء؟ .. ليلتها بدت لى (جوديث) وكأنها تحمل الموت فى قلبها ..

★ ★ ★

- 19 -

أكتب هذا مـن (إيستبورن) .. لقد جئت إلى (إيستبورن) لأقابل (جورج) خادم (بوارو) السابق .. لقد ظل معه عدة أعوام ، وكان يتمتع بالكفاءة والواقعية .

حسن .. جئت لأراه وأخبرتـه بموضـوع (بـوارو) .. فتصرف كما ينبغى لـ (جورج) أن يتصرف . أصـابه الضيق والغم .. وحاول جاهدًا أن يتحمل .

سألته :

ـ « ألم يترك معك رسالة لى ؟ »

قال على الفور :

ـ « لك يا سيدى ؟ نعم لم يترك رسائل .. »

أصابتنى الدهشة وعاودت السؤال لكنه كان محددًا .. لـذا قلت فى النهاية :

ـ « إذن هى غلطتى .. لكم كنت أتمنى لو أنـك كنت بجانبه حتى النهاية »

ـ « تمنيت ذلك أيضًا يا سيدى »

- « لكن كان يجب أن تأتى لترى أباك المريض .. »

نظر لى فى دهشة ثم قال :

- « معذرة يا سيدى .. لم أفهم ما تتكلم عنه .. »

- « ألم تطلب من (بوارو) إجازة ؟ »

- « عفوًا يا سيدى .. بل مستر (بوارو) هو من طلب رحيلى .. لا أعنيٍ أنه صرفنى عن خدمته .. كان الاتفاق أنه سيعيدنى لاحقًا .. »

- « لكن لماذا يا (جورج) ؟ لماذا ؟ »

- « لا أستطيع القول يا سيدى .. »

- « ألم تسأله ؟ »

- « نعم يا سيدى .. لم أعتقد أن هذا من حقى .. إن مستر (بوارو) رجل بارع مهذب .. »

تذكرت أناقة (بوارو) وشاربيه الشهيرين ، فقلت :

- « رجل مهذب متأنق .. وكان شارباه رائعين .. هل كان يصبغهما مثل شعره ؟ »

- « كان السيد (بوارو) يصبغ شاربيه لكن ليس شعره .. »

ـ « هراء .. لقد كان أسود كالغراب .. بدا كأنما هو يضع جمة .. لم يكن طبيعيًا على الإطلاق .. »

سعل (جورج) فى حرج وقال :

ـ « معذرة يا سيدى .. كانت جمة فعلاً .. لقد تساقط شعره بالجملة مؤخرًا .. »

بدا لى أنه من الغريب أن يعرف خادم عن سيده أكثر من أعز أصدقائه .

ـ « لكن ألم تفهم لماذا أرسلك بعيدًا ؟ فكر يا رجل .. فكر .. »

لكن كان من الواضح أنه ليس بارعًا فى التفكير ..

ـ « أعتقد يا سيدى أنه أراد أن يستخدم (كيرتس) »

ـ « ولماذا يستخدم (كيرتس) ؟ »

ـ « لا أعرف يا سيدى .. عندما رأيته لم يبد لى .. معذرة .. لم يبد لى من عينة بارعة الذكاء .. كان قويًا لكنى لا أحسبه من الطراز الذى يفضله مستر (بوارو) .. كان عاملاً فى مصحة عقلية على ما أظن .. »

نظرت له فى ذهول .. (كيرتيس) ! أتراه هو (كيرتس) ؟ هل تركنى (بوارو) أمشط الضيوف بحثًا عن مستر (س) بينما مستر (س) لم يكن ضيفًا على الإطلاق ؟

ألم أقرأ مرة أن مرضى المصحات العقلية يعودون لها مرة أخرى ليعملوا فيها ؟ رجل غريب الأطوار غبى .. رجل يمكن أن يقتل لسبب ملتو فى عقله ..

(كيرتس) ؟

★ ★ ★

خاتمة

[ملحوظة كتبها كابتن آرثر هاستنجز : هذا النص جاء إلى حوزتى بعد أربعة أشهر من موت صديقى (بوارو) . تلقيت اتصالاً من شركة محامين يطلبون أن أذهب لمكتبهم . وهناك ناولونى أوراقًا كتبها عميلهم مستر (هركيول بوارو)] :

صديقى العزيز .. لا بد أن أربعة أشهر قد مرت على وفاتى .. وقد احترت كثيرًا فيما إذا كان على أن أكتب ما سأكتبه هنا أم لا . ثم قررت أنه لابد من أن يعرف أحد تفاصيل قضية (ستايلز) الثانية . كما خشيت أن تصل أنت إلى أكثر الاستنتاجات منافاة للمنطق وتؤذى نفسك . لكن دعنى أقل لك mon ami إنه من المفترض أن تكون وصلت إلى الحقيقة .. إن لديك ما يلزمك .. فلو لم تفعل فهذا لأنك تملك طبيعة ساذجة جميلة .

على الأقل يجب أن تعرف من قتل (نورتون) حتى لو كنت لم تعرف بعد من قتل (باربرا فرانكلين) .. هذا سيكون صدمة لك ..

لأبدأ من البداية تعرف أننى أرسلت أستدعيك .. قلت إننى أريدك .. كان هذا صحيحًا .. قلت إننى أردت أن تكون أذنى وعينى .. هذا أيضًا كان صحيحًا .. لكن ليس كما تفهمه ! لقد أردت أن تسمع ما أريد أن تسمعه وترى ما أريد أن تراه ..

شكوت من أننى لم أكن عادلاً فى تقديم القضية .. اتهمتنى بأننى لم أخبرك بشخصية (س) .. هذا صحيح .. كان هذا شيئًا يجب أن أفعله .. وسوف تعرف السبب فيما بعد ..

الآن دعنا نتفحص حالة (س) .. لقد أريتك ملخصات القضايا .. وأخبرتك أن كل قضية صممت بحيث يبدو أن المتهم هو الذى ارتكب الجريمة بنفسه ، وأنه لم يكن من حل آخر . ثم انتقلت إلى النقطة الأهم وهى أن (س) كان فى مسرح كل جريمة . هكذا وثبت أنت إلى استنتاج كان صادقًا وخاطئًا معًا .. قلت إن (س) ارتكب كل الجرائم .. لكن ملابسات كل قضية كانت تدل على أن المتهم كان هو الوحيد القادر على ارتكاب القضية فى كل مرة .

ما عمل (س) إن لم يكن مرتبطاً بقوات الشرطة أو شركة من المحامين الجنائيين ؟ ليس بوسع شخص عادى أن يرتبط بخمس جرائم قتل .. هذا لا يحدث كما تعلم !

إذن نحن هنا أمام حالة من التفاعل المحفز .. تفاعل مادتين لا يحدث إلا فى وجود مادة ثالثة .. وهذه المادة الثالثة لا تشارك فى التفاعل ولا تتغير .. هذا هو الوضع .. معناه أنه حيثما وجد (س) تمت الجرائم .. لكنه لم يشارك فيها وهو وضع فائق للوصف !

رأيت أننى فى نهاية حياتى العملية قد قابلت بالفعل المجرم الكامل .. القاتل الذى لا يمكن أن تدينه بالقتل . هذا مذهل لكنه ليس جديدًا .. من هنا تجد أول دليل تركته لك .. مسرحية (عطيل Othello) .. هنا نجد أصل (س) بشكل بارع .. (ياجو Iago) هو القاتل الكامل .. إن موت (ديدمونه Desdemona) و(عطيل) هما فى الواقع جريمتا قتل اقترفهما (ياجو) .. لكنه بقى خارج الدائرة لا تمسسه الظنون .. هنا وجد (شكسبيركم) العظيم أنه وضع نفسه فى مشكلة .. لكى يكشف (ياجو) لجأ إلى أسخف الأدوات .. المنديل .. هذه لمسة لا تتفق مع أسلوب (ياجو) ويشعر المرء أنه لا يمكن أن يرتكبها ..

نفس التقنية العالية تجدها فى الفصل الثالث من مسرحية (جون فرجسون Ferguson John) .. حيث يغرى

(كلوتى جون) الآخرين بقتل الرجل الذى يرغب هو فى قتله . إنها قطعة جميلة من الإيحاء النفسى . يجب أن تدرك يا (هستنجز) أن كل إنسان هو قاتل محتمل .. ومن وقت لآخر تنشأ لدى الإنسان (الرغبة فى القتل) .. إن لم تكن (إرادة القتل) ..

كم مرة سمعت الناس يقولون : « لقد أثارت حنقى حتى كان بوسعى أن أقتلها ! » ؟

كل هذه المقولات صادقة حرفيًا .. ذهنك وقتها يكون صافيًا .. لكنك لا تفعل لأن إرادتك لا ترتفع لمستوى رغبتك .. فى الأطفال لا تعمل الفرملة جيدًا ، وقد رأيت طفلاً يقول لقط :

- « ابق ساكنًا وإلا هشمت رأسك وقتلتك »

وفعلاً يفعل ذلك .. ثم يصيبه الهلع بعد هذا عندما يدرك أن حياة القط لن تعود ..

وبرغم هذا كان الطفل يحب القط جدًا ..

هذه هى تقنية (س) العالية .. لا يوحى بالرغبة بل يهدم المقاومة الحضارية .. هذا فن أجاده بالمران .. إنه

يعرف الجملة السحرية التى تضع ضغطًا تراكميًا على بقعة واهنة ! .

هذا ممكن .. بل يتم من دون أن تشك الضحية فى شىء .. ليس تنويمًا مغناطيسيًا .. إنه شىء أقوى وأخطر .. إنه حفز القوى البشرية كى توسع الصدع بدلاً من أن ترأبه ..

لا بد أنك تفهم هذا يا (هاستنجز) فقد حدث معك .. حينما تكلمت عن جريمة قادمة لم أكن أتحدث عن نفس الجريمة .. لكنى قلت إن جريمة سترتكب واندهشت أنت من ثقتى ..

السبب أن هذه الجريمة كانت سترتكب بوساطتى أنا !

نعم يا صاحبى .. هذا غريب .. هذا مضحك .. هذا شنيع ! أنا الذى لا أوافق على القتل أنهى حياتى به .. هناك جانبان للموضوع : عملى هو أن أحمى الأبرياء . وأن أمنع القتل .. (س) لا يمكن أن يمسه القانون .. إنه آمن تمامًا .. كنت أعرف ما يجب عمله لكنى لم أجسر على ذلك .

هنا حدثت المحاولة مع مسز (لوتريل) .. كنت فضوليًا أرغب فى أن أعرف ما إذا كان ميلك للسهل من الأمور

مستمرًا .. كان كذلك .. بدأت أنت بالشك الخفيف فى (نورتون) .. وكنت محقًا .. كان (نورتون) هو الرجل .. لكنك لم تملك دليلاً على هذا الشك ..

كان (نورتون) ابنًا لامرأة قوية الشخصية .. يبدو أنه لم ينل قط فرصة لإظهار شخصيته أو التأثير فى الآخرين .. كان يعرج نوعًا لهذا لم يشارك فى ألعاب المدرسة .. كما إنهم سخروا منه فى المدرسة لأنه أصيب بالغثيان إذ رأى أرنبًا ميتًا .. هذا الحادث ولابد قد أحدث ندبة عميقة فى نفسه .. كان يمقت الدم والعنف ..

فى رأيي أنه صمم على الانتقام عن طريق أن يصير قاسيًا جريئًا .. وأعتقد أنه اكتشف قدرته على التأثير فى الناس مبكرًا .. إنه يصغى جيدًا ويبدو متعاطفًا ..

أدرك كم أن هذا سهل .. فقط يستعمل الكلمات الصحيحة ويمد الناس بالحافز الكافى .. يجب أن تفهم البشر .. تخترق أمنياتهم وأحلامهم .

هذا هو (نورتون) الذى جعل الناس يقتنعون بعمل أشياء لا يحبون عملها أو يعتقدون أنهم لا يحبون عملها ..

لقد نمت هوايته أكثر فأكثر .. حتى صارت ضرورة .. كانت نوعًا من المخدرات لا يختلف عن الكوكايين والمورفين . ومثل أى مدمن كان عليه أن يجد مصدرًا للمخدرات .. أنا متأكد من أن هناك حالات أكثر من تلك الخمس .

كان يعرف (أثرنجتون) .. وقضى صيفًا فى بلدة آل (ريجز) .. وفى رحلة قابل الفتاة (فريدا كلاى) وأقنعها بأن موت عمتها شىء طيب .. راحة للعمة وحياة من الترف المادى .. كان كذلك صديق آل (لتشفلد) وإذ تكلمت معه (ماجى) رأت نفسها فى صورة البطلة مخلصة إخواتها ..

الآن نأتى للقصة فى (ستايلز) .. عرفت أنه التقى آل (فرانكلين) فشممت الخطر .. لا يمكن أن تنمو نبتة إلا إذا كانت فيها بذرة .. فى قصة (عطيل) نجد فى نفس (عطيل) الشك وغالبًا هو صحيح أن حب (ديمونة) له هو حب فتاة صغيرة لقائد شهير وليس ذلك الحب المتوازن نحوه كرجل .

كان آل (فرانكلين) مناسبين جدًا للرجل .. كل الاحتمالات ! كان بوسعك يا (هاستنجز) أن تدرك أن (فرانكلين) يحب (جوديث) .. وهى تحبه . فظاظته وطريقته فى عدم النظر لها أبدًا .. هذه أشياء تخبرك أنه كان غارقًا فى حبها حتى أذنيه .

لكن (فرانكلين) رجل مستقيم وهذا الطراز من الناس يتمسك بزوجته للنهاية .. ويبدو أن (جوديث) حسبتك فهمت حقيقة مشاعرها .. شخصيتها لا تتحمل أى نوع من الشفقة .. هذا يشبه لمس جرح عار .. ثم وجدت أنك تفكر فى (ألرتون) .. قررت أن تتركك تعتقد هذا فهذا يريحها ..

كانت تعرف بالضبط أى رجل هو (ألرتون) .. لقد تسلت به لكنها لم تشعر بشىء نحوه .. هنا أدرك (نورتون) الاحتمالات القائمة فى ثلاثى (فرانكلين) . بدأ بـ . (فرانكلين) لكن هذا الأخير من الناس الذين يملكون مناعة تامة ضد أمثال (نورتون) .. إن له عقلاً أبيض وأسود فقط ..

كانت (جوديث) أسهل نوعًا .. لقد راح (نورتون) يزرع فى ذهنها أن من حق الإنسان الخلاص من الذين لا جدوى منهم .. وراح يقول لها عبارات مثل : « هذا ما يقوله الشباب جميعًا لكنهم لا يفعلونه أبدًا .. » .. الخ .

ما أشد هشاشة هؤلاء الشباب ! ما أسهل ما ينجرفون إلى قبول التحديات برغم أنهم ينكرون هذا ..

لو رحلت (باربرا) لصار الطريق مفتوحًا امام (فرانكلين) و(جوديث) .. لكن أحدًا لم يقل هذا .. لم يفتح الموضوع قط لأن (جوديث) لو شعرت بهذا لتصرفت بعدوانية ..

فى الوقت ذاته بدأ يفكر فى (لوتريل) ..

تذكر أول مرة لعبت فيها البريدج حينما كان (نورتون) يتكلم بصوت عال وخشيت أنت أن يسمعه الكولونيل .. بالطبع كان يريد أن يسمعه الكولونيل !

فى النهاية نجح الأمر .. تم تحت أنفك يا (هاستنجز) ومن دون أن تعرف كيف .. تذكر ما حدث .. (نورتون) شعر بالظمأ من ثم هب الكولونيل يحضر لكم الشراب .. هنا يقع المشهد المحتوم .. يتشاجر مع زوجته .. يخرج .. يتظاهر بأن شيئًا لم يقع .. لكنه يفشل فى هذا .. (كارنجتون) كان يستطيع الادعاء بنجاح أكثر لأنه من طراز الرجال الذين يروقون لك .. مغرور تافه !

هنا تجتمع ملاحظات (نورتون) العابرة مع الجو النفسى ، مع شعوره بالإهانة أمام رفاقه ، مع إدراكه أنهم يعرفون انه جبان لن يقاوم تحرشات زوجته .. مع الحكاية

التى حكاها (كارنجتون) عن المجند الذى أطلق الرصاص على أخيه .. هذه القصة حكاها (نورتون) لـ (كارنجتون) من قبل لكن هذا الأخير استعملها لنفسه كما هى العادة !

فى هذه اللحظة تبدو زوجته أمامه وهى تعنى بالزرع .. هكذا يرفع البندقية ويصوبها نحو زوجته .. سوف يبدو كحادث .. سأريهم .. سأريهم .. سوف تموت !

لكنه لم يصبها .. عن نفسى أعتقد أنه أخطأ التصويب لأنه أراد ذلك غريزيًا .. ثم تحطمت اللعنة .. إنها زوجته الحبيبة برغم كل شىء ..

ثم يأتى دورك ! لقد استكشف كل جوانب عقلك يا صاحبى .. (ألرتون) هو طراز الرجال الذين تكرههم بالفطرة .. هذا نوع الرجال الذين تؤمن بأنهم يجب أن يختفوا .. يحكى لك (نورتون) قصة حقيقية عنه .. الفتاة التى انتحرت عندما تخلى عنها .. وهذا يناسبك .. هذا الرجل هو الوغد .. المفسد .. الذى يدمر الفتيات ويدفعهن للانتحار !

تكلمت مع (جوديث) فقالت ما هو متوقع : هذه حياتى ولسوف أعيشها كما يروق لى .. وهكذا تجد أنه ركز الهجوم عليك .. حبك لابنتك .. شعورك بالمسئولية .. شعورك بالعجز لغياب زوجتك .. دعك من مقت الأب الفطرى للرجل الذى سيأخذ ابنته منه ..

أنت تقبل الأمور بلا تدقيق .. لقد قررت فجأة أن (ألرتون) كان يتحدث مع (جوديث) بصدد السفر إلى (لندن) برغم أنك لم ترها معه .. لم تسمعها تتكلم .. وسررت فى اليوم الثانى (لأنها غيرت رأيها) ..

لكن لو لاحظت لوجدت أن هناك شخصًا تضايق لكونه حرم من السفر فى هذا اليوم .. الممرضة (كريفن) .. إن (ألرتون) ليس بالطراز الذى يكتفى بامرأة واحدة .. و(نورتون) يعرف هذا .. لهذا يغرس الشكوك فى نفسك .. وعندما تسمع ما يقوله (ألرتون) يجذبك بعيدًا قبل أن تكتشف أن المرأة ليست (جوديث) !

لكن من حسن طالعك يا (هاستنجز) أن لك صديقًا لا تنام خلايا عقله .. أنت تتساءل لماذا صرفت (جورج)

وجئت برجل أقل ذكاء وخبرة .. لماذا ؟ لماذا لم يرعنى طبيب أنا الذى كنت أرعى صحتى بدقة ؟

هل تفهم لماذا كنت بحاجة لك هنا ؟ كنت أريد شخصًا يقبل ما أقول بلا مناقشة .. صرفت (جورج) لأنى لم أرد شخصًا يعرف أننى لم أعد عاجزًا تمامًا .. كان (جورج) سيدرك أننى اصطنع العجز .. هل تفهم ؟

لم أكن مقعدًا .. كان بوسعى المشى بعرج .. وفى تلك الليلة سمعتك قادمًا ثم رأيتك تدخل إلى غرفة (ألرتون) .. وأنا أفهمك جيدًا لذا دق جرس إنذار لدى . أرسلت الخادم يستدعيك لغرفتى وأرغمتك على شرب كوب كبير من الشيكولاته . إن لدى أنا الآخر بعض الأقراص المنومة .. لذا نمت أنت .. نمت حتى الصباح ثم أفقت وعدت لصوابك وأصابك الذعر مما كنت تنتوى عمله .

لقد صرت فى أمان الآن ..

لكن هذا أخبرنى بضرورة الإسراع .. فالآخرون ليسوا مثلك .. أنت لست قاتلاً .. أنت أيها العزيز النقى .. أيها الشريف .. أيها البرىء (هاستنجز) !

الآن جاء دور (باربرا فرانكلين) .. مهما كانت أفكارك فلا أحسبك خمنت الحقيقة .. أنت قتلت (باربرا فرانكلين) ! نعم .. فعلتها !

ألم تسأل نفسك قط عن سبب قدوم هذه السيدة إلى (ستايلز) ؟ إنه ليس مكانًا راقيًا ولا يتيح علاقات اجتماعية .. بينما هى تبحث عن الراحة والطعام الجيد . تزوجت (فرانكلين) على أساس أنه سيكون لامعًا لكنها أدركت أنه لن يكون شهيرًا إلا لدى دستة من المختصين بطب المناطق الحارة .. ولن يذكر اسمه إلا فى المجلات المتخصصة جدًا .. لن يسمع عنه العالم الخارجى ولن يكون ثروة .

ثم يأتى (كارنجتون) ليقيم هنا .. إنه رجل ثرى ولديه ضيعة .. وكان يحبها بجنون .. وليس من الطراز الذى ينصحها بالطلاق .. هكذا تنتقل وزوجها إلى هنا .. لو مات (فرانكلين) لصارت زوجة (كارنجتون) وانتهت مشاكلها ..

إن كلامها المستمر عن افتتانها بزوجها يبدو على شىء من الافتعال .. ثم قولها إنها تخشى أن يقتل نفسه بتجاربه .. كان الأمر واضحًا يا (هاستنجز) . لقد كانت

تعد العدة لقتل زوجها بالـ (فيسزوستيجمين) ! ولسوف يقال إن ما حدث كان غلطة .. لقد شرب القلويد حاسبًا أنه لن يؤذيه لكنه آذاه ..

كانت تخشى أن تنتظر أكثر وإلا أفلت (كارنجتون) .. إن الممرضة بارعة الجمال ولها عين ثاقبة بالنسبة للرجال الأثرياء .. لذا كان على (باربرا) أن تتصرف سريعًا .. يجب بأسرع وقت أن تحول إلى أرملة رقيقة حزينة ..

هل تعلم يا صاحبى أننى أحمل احترامًا لبازلاء (كالابار) ؟ لقد دعتكم السيدة لغرفتها وأعدت لكم القهوة .. قهوتها كما قلت لى كانت بجوارها وقهوة زوجها على المكتب .. ثم تظهر النجوم ويخرج الكل للشرفة ما عداك حيث جلست مع كلماتك المتقاطعة . حاولت إخفاء عواطفك فنهضت إلى المكتب متظاهرًا بالبحث عن شيء فى شكسبير ، ثم عادوا فاختلط الأمر على السيدة وشربت القهوة التى وضعت فيها الفيسوستيجمين . وشرب زوجها القهوة اللذيذة التى أعدتها زوجته لنفسها .

لكنى كما ترى يا (هاستنجز) لم أكن قادرًا على إثبات كلامى .. ولو اعتقدت الشرطة أن السيدة لم تنتحر لاتجه

الظـن تلقائيًـا إلـى (فرانكليـن) و(جوديـث) .. وهكـذا ضغطت فى شهادتى على موضوع رغبتها فى الانتحار .. كان هذا بوسعى .. بل كنت الوحيد القادر على ذلـك .. فأنـا رجل خبير فى جرائم القتل .

لاحظت أن شهادتى لم تسعدك .. لكنك لم تقدر الخطر . ربما تقدره الآن ويعاودك الخاطر كأفعى تتسلل إلى أفكارك وتقول : « ماذا لو أن (جوديث) .. .. .. ؟ »

لكن هناك رجلاً شعر بتعاسة بالغة لأنـه أدمن الاتهام والخوف ومطاردات القانون .. لقد فشلت عمليتـا قتل رتب لهمـا .. لـذا راح يلمح لك بأنـه رأى مـا لا تعرفـه .. وأنـه لا يريد أن تعرف بحال ما رآه .

شعرت بـالخطر .. لأنـه من الممكـن أن يلمـح بأشياء أخرى .. وهكذا سعيت إلـى أن يحضر لحجرتـى .. أرسلت خادمى يدعوه إلى ..

كـان على وشك أن يحكى قصته بطريقته لكنى هاجمتـه بعنف وصارحتـه بكل مـا أعتقده .. لـم ينكر شيئًا .. لقد جلس متكلفًا الابتسام . ثم سألنى عما سأفعله بصدد هذه النظرية ؟

قلت إننى سأنفذ فيه حكم الإعدام .. قال ضاحكًا : كيف ؟ الخنجر أم كأس السم ؟

قلت لـه إن كـأس السم هو الأسـهل .. ثـم قدمـت لـه الشيكولاته .. قال باسمًا إنه لا يمـانع بشرط أن أشرب أنا من قدحه ويشرب هو من قدحى .. فوافقت على الفور ..

فى الحقيقة كنت قد أذبت أقراصًا منومـة فـى الشيكولاته كلها .. وأنا أتعـاطى هذه الأقراص بكثرة لذا لا تؤثر فـى الجرعـة التـى يمكن أن تؤثر فـى (نورتـون) .. لـذا بـدأ العقار يؤدى عمله معه .. أما أنا فلم أتأثر خاصة مع جرعة من المقوى الذى يحوى (الستركنين) وعمله يعكس عمل المنوم ..

الآن نام الرجل فحملته إلى مقعدى المتحرك وهذا سهل ، ثم دفعته إلى الكوة التى يغطيها الستار فـى الجدار .. حيث أضع المقعد دائمًا ..

وحينمـا هدأ كل شـىء دفعت (نورتـون) بـالمقعد إلـى حجرتـه .. لـو لاحظت لوجدت أننـى أضـع جمـة وشـاربًا مستعارين . لذا ارتديت منامة (نورتـون) ورفعت شعرى الرمادى لأعلى .. وخرجت للردهة وقرعت بابك ..

خرجت وأنت نائم للردهة لتجد (نورتون) عائدًا لغرفتـه من الحمام ..

فى حجرته ألبسته ثياب نومـه وأرقدته فى الفراش ثم أطلقت الرصاص عليه بالمسدس الصغير الذى ابتعته من الخارج .. ثم وضعت المفتاح فى جيبه وغادرت الحجرة وأغلقتها من الخارج بنسخة من المفتاح حصلت عليها منذ زمن .. ثم دفعت المقعد عائدًا لحجرتى ..

لقد أتعبنى التنفيذ وكل هذا التخطيط لذا لا أحسب أننـى سأتحمل كثيرًا ..

فقط هناك شىء أخير يجب ذكره : جرائم (نورتون) كانت متقنة أما جريمتى فلم تكن كذلك .. لم أرد لها ذلك ..

كانت الطريقة الأسهل أن يتم القتل بشكل واضح .. لنقل حادثًا بسبب مسدسـى الصغير .. وكنت سأعتذر بينما يقولون : هذا الأبله العجوز .. لم يدرك أن المسدس محشو ..

السبب فى كونى فعلت هذا هو أننى أتريض .. نعم أتريض !! كنت أحاول أن أعطيك كل ما يلزم كى تعرف

الحقيقة .. كنت أحاول أن ألعب بشرف .. لو تقصيت لعرفت أننى غيرت غرفتى فى (ستايلز) وأن مفتاحى قد فقد .. لو سألت نفسك : من يمكن أن يفتح غرفة (نورتون) ثم يغادرها بسهولة مع أن المفتاح فى جيب (نورتون) ؟ الإجابة هى (هركيول بوارو) الذى لديه مفتاحان لإحدى الغرف ..

لمحت لك أن الرجل فى الردهة لم يكن (نورتون) .. لكنك سألتنى فقلت إننى لا أقترح أى شىء .. لقد بذلت جهدًا كبيرًا لأوحى لك بأنه (نورتون) فلن أوحى بالعكس .. .

بعد هذا أثرت مشكلة الطول .. كل الرجال هنا أطول من (نورتون) .. بكثير .. لكن هناك رجلاً أقصر من (نورتون) .. (بوارو) . ومن السهل أن يطيل المرء نفسه بانتعال حذاء ذى كعب عال ..

لقد أبعدت (جورج) فلماذا ؟

قصة (عطيـل) كانت ستوحى لـك بـ (نورتون) فمن قتل (نورتون)؟

أما غلطتى الكبرى فهى ولعى بالنظام والتماثل .. لم أستطع أن أطلق الرصاص على صدغه .. كان هذا سيجعل المنظر غير متماثل .. لذا صوبت إلى منتصف رأسه بالضبط ..

ماذا هناك أيضًا ؟ أعتقد أن (فرانكلين) و(جوديث) خمنا الحقيقة .. لكنهما لن يخبراك بها ..

سوف يعيشان سعيدين فقيرين ولسوف تلدغهما الحشرات الاستوائية ويصابان بكل الأمراض ، لكن كل إنسان لديه فكرته الخاصة عن الحياة السعيدة ..

أما أنت يا (هاستنجز) فقلبى ينزف من أجلك .. هل تريد رأيى ؟ خذ قطارًا وابحث عن (أليزابث كول) .. التى هى (أليزابث لتشفيلد) .. أخبرها أنك كدت تفعل ما فعلته أختها (ماجى) .. قل لها إن القاتل الحقيقى لأبيها كان صديق الأسرة (ياجو) .. (نورتون) ..

من الصعب أن ترفض امرأة مثلها بشبابها وجمالها الحياة لأنها (موصومة) .. وأنت يا صاحبى ما زلت تفتن النساء نوعًا ..

ماذا بقى لأقوله ؟ لا أعرف إن كان ما فعلته مبررًا أم لا .. لا أعتقد أن من حق بشر تنفيذ القانون بيديه .. لكن من وجهة نظر أخرى .. أنا القانون !!

لقد أنقذت حيوات بريئة عدة بقتلى (نورتون) .. لكن برغم هذا .. لا أعرف .. ومن حسن حظى أننى لا أعرف .. كنت واثقًا من نفسى طيلة حياتى لكننى الآن أتكلم بتواضع وأقول كطفل صغير : « لا أعرف »

وداعًا يا صاحبى .. لقد أبعدت أمبولات الأميل نتريت من جوار فراشى .. أفضل أن أسلم نفسى لإلهى الكريم .. ولتحل بى رحمته أو عقابه الذى أتمنى ألا يطول ..

لن نقبض على القتلة ثانية يا صاحبى .. أول قنص لنا كان هنا .. وآخر قنص ! كانت أيامًا طيبة ..

(نهاية ما كتبه بوارو) ..

★ ★ ★

أنهيت القراءة .. لا أصدق هذا كلـه .. لكنـه حقيقـى .. كان يجب أن أعرف .. كان على أن أعرف حين رأيت ثقب الرصاصـة المنتظم فـى منتصـف جبهـة (نورتـون) .. غريب .. لقد أدركت هذا الآن ..

الفكرة التى خطرت ببـالى ذلك اليوم .. هـى أن العلامـة على جبين (نورتون) كانت تشبه وصمة (قابيل) .

أجاثا كريستي

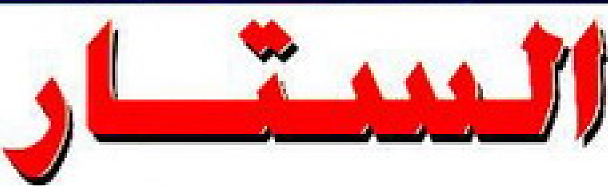
1975

تمت بحمد الله

مكتبة متكاملة لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب





الستار

56

ما أقسى الانهيار الذى تحدثه السنون فى كيان مفعم بالحيوية .. من جديد يعود (بوارو) المخبر العظيم إلى قصر (ستايلز) الذى شهد أول مغامرة له ، وسوف يشهد اليوم آخر مغامرة له : فهو مثل (حيتان أغسطس) التى تعود دوما لمكان نشأتها كى تموت فيه ... لقد صار حطاما بشريا يجلس على مقعد متحرك ، وإن كانت خلايا مخه الرمادية ما زالت تعمل بنجاح ..

الساحرة (أجاثا كريستى) تقدم لنا المغامرة الأخيرة لـ (هيركيول بوارو) .. وهى بحق جديرة بأن تكون كذلك ..

الرواية القادمة قصص من أزيموف

الثمن فى مصر ٣٠٠ قرشا
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

